(ترجمــة المؤلــف)

بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمنِ ٱلرَّحيمِ

ٱلحمد لله وٱلصلاة وٱلسلام ٱلأتمان ٱلأكملان على حبيبه ومصطفاه ٱلوصــف وٱلوحي وٱلرسالةِ وٱلحكمة وعلى وآله وصحبه ومَن والاه .

أما بعد :- فأن مؤلف هذه ٱلموسوعة ٱلمباركة هو ٱلســيد ٱلشــيخ محمــد ٱلكسنــزان ٱلحسيني شيخ ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنــزانية في ٱلعالم قدس الله سره .

وهو علم من أعلام ٱلعراق وٱلعالم ٱلإسلامي ، ونجم من نجوم سماءِ أهل ٱلفكر وٱلعرفان لا لكونهِ شيخ طريقة صوفية فحسب بل لما يمتلكه من مــؤهلات ذاتيــة هيأتهُ لأَن يكون ذا صدارة في ٱلمجالات ٱلدينية وٱلسياسية وٱلأجتماعية وٱلعلميــة وٱلسيد ٱلشيخ ينحدر من أُسرة حسينية هاشمية هي فرع من فروع ٱلشجرة ٱلمحمدية ٱلمصطفوية ٱلطاهرة ٱلتي أصلها ثابت وفرعها في ٱلسماء .

فهو ٱلسيد ٱلشيخ محمد إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم إبن ٱلسيد عبد ٱلقــادر إبــن ٱلسيد عبد ٱلكريم شاه ٱلكسنــزان إبن ٱلسيد حسين إبن حسن إبن ٱلسيد عبــد ٱلكريم إبن ٱلسيد إسماعيل الولياني آبن ٱلسيد محمد ٱلنودهي إبن ٱلسيد بابا علــي ٱلوندرينة آبن ٱلسيد بابا رسول ٱلكبير آبن ٱلسيد عبد ٱلسيد الثاني إبن ٱلسيد عبد ٱلرسول إبن ٱلسيد قلندر إبن ٱلسيد عبد ٱلسيد إبن ٱلسيد عيسى ٱلأحــدب إبــن ٱلسيد حسين إبن ٱلسيد بايزيد إبن ٱلسيد عبد ٱلكريم ٱلأول إبن ٱلســيد عيســى ٱلبرزنجي إبن ٱلسيد بابا علي ٱلهمداني إبن ٱلسيد يوسف الهمداني إبن ٱلسيد محمد ٱلمنصور إبن ٱلسيد عبد العزيز إبن ٱلسيد عبد الله إبن ٱلسيد إسماعيل ٱلمحدث إبــن الإمام موسى ٱلكاظم إبن ٱلإمام جعفر الصادق إبن ٱلإمام محمد ٱلباقر إبن ٱلإمــام

علي زين ٱلعابدين إبن ٱلإمام الحسين إبن ٱلإمام علي إبن ابي طالب ت وٱلسـيدة فاطمة ٱلزهراء ' بنتِ رسول ٱلله وخاتم ٱلأنبياء وٱلمرسلين محمد ٱلمصطفى ه .

وأما لقب ٱلكسنـزان الذي أُطلق على عائلة ٱلسيد ٱلشيخ فهو لقب أُطلـق على جدّهم ٱلولي ٱلصالح وٱلعابد ٱلزاهد ٱلسـيد عبـد ٱلكـريم ٱلأول وكلمـة (كسنـزان) كلمة كردية تعني ٱلشخص ٱلذي لا يعلم حقيقته أحـد وسـبب إِطلاق هذا ٱللقب على هذا ٱلسيد ٱلمبارك هو ٱنقطاعه لمدة أربع سنوات عن ٱلناس مختلياً في أحد جبال (قرداغ)* مع ربه متلذذاً بقربه مستأنساً بعبادتِهِ وحينما كان يُسألُ أحدُ ٱلناس عن ٱلشيخ يقول : (كسنـزان) فجرى هذا ٱللَّفظ لقباً علـى هذا ٱلسيد ٱلمبجل ومن ثم على أبنائه وأحفاده كما أَنَّ هذا ٱللقب جرى على أَلسنة ٱلخلق عَلَماً للطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنـزانية ٱلتي تبنّى مشيختها ٱلشيخ وأبناؤه وأحفاده من بعده .

فاسم ٱلكسنـزان هو لقب عائلة وٱسم طريقة وله معناه ٱلاصطلاحي ٱلمدوّن في هذه ٱلموسوعة ٱلمباركة .

وأَما ٱسم العشيرة ٱلتي تنتمي إليها عائلة ٱلشيخ محمد فهي عشـيرة ٱلسـادة البرزنجية وٱلأب ٱلأعلى لهذه ٱلعشيرة ٱلشيخ عيسى البرزنجي هو أول من سكن في برزنجة من شمال ٱلعراق وبارك ٱلله في ذريته عدداً ومكانة ووجاهة دنيوية وأُخروية فالسادة ٱلبرزنجية ٱليوم هم أكبر عشائر ٱلسادة ٱلكرام في شمال ٱلعراق .

---

* قرداغ : وتعني الجبل الأسود ، وهي منطقة تقع في ضواحي مدينة السليمانية .

ولادته ونشأته :

ولد ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان ٱلحسيني قدس سره في (قرية كربجنة) ٱلتابعة لناحية (سنكاو) من محافظة كركوك في شمال ٱلعراق فجر ٱلجمعة ٱلرابع عشر من شهر صفر (سنة ١٣٥٨) للهجرة ٱلنبوية ٱلشريفة ٱلموافق للخامس عشر من شهر نيسان (سنة ١٩٣٨) للميلاد وهذه ٱلقرية ٱلتي ولد فيها الشيخ هي موطن مشايخ ٱلطريقة ٱلكسنـــزانية ، ومنذُ سنواته الأولى التي قضاها في (كربجنة) كان شـــيخ ٱلطريقة هو والده ٱلسيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنـــزان قدس سره ٱلذي أُنيطـــت بـــه ٱلمشيخة من قِبَلِ أَخيه الأكبر ٱلشيخ ٱلزاهد صاحب ٱلخلوات ٱلسيد ٱلشيخ حسين ٱلكسنـــزان قدس سره وٱلذي كان يُطلق عليه ولا زال لقب (ٱلسلطان) وٱلســـلطان حسين قدس سره هو الذي سمّى ٱلمولود ٱلجديد للشيخ عبد ٱلكريم قدس سره محمداً وقال فيـــه مبشراً أَنه سيكون ولي زمانه وسيكون في ٱلطريقة ذا سلطان وجاه روحي واسع .

نشأ ٱلشيخ في هذه ٱلأجواء ٱلروحانية وفي هذا ٱلصفاء وبين أكْناف أولياء كبار لا تراهم إلّا ركعّاً أو سجّداً أو مسبحين أو مفكرين ومتدبرين مع ما كان لهـــم مـــن مواقف وطنية مؤثرة في كل ٱلمجالات فالسلطان حسين كان من قادة ٱلجيـــوش ٱلـــتي تألفت من شيوخ ٱلعشائر وٱلوجهاء بقيادة ٱلسيد ٱلكريم وٱلمجاهد ٱلذي ذاع صيته في ٱلآفاق (ٱلشيخ محمود ٱلحفيد) الذي قاوم ٱلإنجليز إِبان ٱحتلال ٱلعراق فقـــد قـــاد ٱلسلطان حسين معركة كربجنة ضد ٱلإنجليز وٱلتي انبثقت عنها فيما بعـــد معركـــة (دربند بازيان)* ٱلتي هزم فيها ٱلإنجليـــز وأُســـر فيهـــا قائـــد ٱلجـــيش هنـــاك

* دربند بازيان : وهي منطقة جبلية ذات غابات كثيفة وتقع بين محافظة السليمانة ومحافظة كركوك .

(ٱلكابتن مار) . وقد أَبلى ٱلسلطان حسين في هذه ٱلمعارك بلاء ٱلأَبطال ٱلذين يشار اليهم بالبنان في ٱلتاريخ و لم يكن ذلك وليد حينه فأن ٱلسلطان حسين هـــو ٱلنجـــل ٱلأكبر للشيخ عبد ٱلقادر ٱلكسنـــزان ٱلعابد ٱلزاهد وٱلبطل ٱلمجاهد ٱلذي قاد ٱلمعارك ضد ٱلروس على ٱلحدود ٱلإيرانية في منطقة بانا وشارك أَيضا في (معركة ميـــدان)* مع رؤساء ٱلعشائر ٱلكردية وٱلسادة ٱلبرزنجية .

أما والد ٱلشيخ فهو ٱلشيخ عبد ٱلكريم قدس سره الذي تولّى مشيخة ٱلطريقة فكان من كبار ٱلشخصيات ٱلدينية وٱلأجتماعية وعلى يديه كَثُرَ عدد ٱلمريدين وتوَّسعت ٱلآفاق في ٱلأَرشاد وٱلتربية وٱلسلوك .

في هذه ٱلأجواءِ ٱلمفعمة بالروحانيات وٱلأخلاقيات وٱلمثاليات نشـــأ شـــيخنا وشرب من هذا ٱلنبع ٱلطاهر مشرباً طيباً هنيئاً مريئاً إذ تربّى على ٱلفضيلة بكلّ ما تحويه هذِهِ ٱلكلمة من معنى .

دراسته :

أَخذ ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس سره ٱلطريقة عن والده وأَخذ معها علوم ٱلتصوف بموسوعية كبيرة وكان ذا ملكة فكرية وروحية تمتاز بسعة ٱلأفـــق وقـــد تهـــذّبت وتكاملت هذه ٱلملكة في دراسته وتعلّمه إذ أَخذ ٱلعلوم ٱلشرعية وٱلعربية على يـــد كبار علماء عصره وفقهاء مصره في مدرسة جدّه مدرسة (كربجنة) ٱلدينية فدرس ٱلعلوم ٱلعربية وٱلإسلامية على كبار علمائها منهم ٱلملا كاكا حمه ســـيف ٱلـــدين وٱلملا علي مصطفى ٱلملقب بعلي ليلان وٱلملا عبد الله عزيز ٱلكربجني .

---

* معركة ميدان : نسبة الى منطقة (ميدان) التي تقع شمال شرق العراق قرب الحدود العراقية الايرانية .

ثم أن ٱلشيخ لم يكتَفِ بذلك وإنما طوّر هذا ٱلخزين ٱلعلمي بكثرة ٱلمطالعة ٱلتي تعتبر همه ٱلأول . وللشيخ مكتبة علمية نادرة حوت آلاف ٱلكتب وٱلمخطوطات ٱلتي جمعها بمشقة كبيرة فقد واظبَ على مراجعة دار ٱلمخطوطات ومكتبة ٱلأوقاف ٱلعامة ومكتبة ٱلحضرة ٱلقادرية ٱلشريفة سبعة عشر عاما بصورة مستمرة يدخل ٱلمكتبة في بداية ٱلدوام ٱلرسمي ولا يخرج منها إلّا في نهايته . إذن فعلمه ٱلصوفي وملكاته ٱلروحية بالإضافة إلى كونها فيضا ربانيا ، فإن ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس الله سره تعهدها بكثرة ٱلمجاهدات وٱلرياضات لسنين طويلة ، وأمّا علوم ٱلتصوّف ٱلنقلية فقد تعهدها بالدرس وٱلبحث ، وأكبر شاهد على ذلك هو ما تضمنته هذه ٱلموسوعة ٱلتي تُعَدّ فريدة في بابها .

جلوسه على سجادة ٱلمشيخة :

إن ٱلجلوس على سجادة ٱلمشيخة في نظر أهل ٱلطريقة ، هو ٱختيار وتعيين علوي يجري بأمر ٱلله تعالى وأمر رسوله سيدنا محمد ﷺ ومن يتم ٱختياره لهذه ٱلمهمة ٱلمقدّسة يكون دائما موضع نظرٍ ٱلله تعالى ورعايته ، فيفيض عليه ما يفيض من أنوار ويُمِدُّهُ بما يشاء من مدد ليكون أهلا للوراثة ٱلمحمّدية وٱلقيام بمهامها من هداية ٱلناس إلى طريق ٱلحق وٱلإيمان ، وٱلدعوة إلى ٱلله تعالى بالحكمة وٱلموعظة ٱلحسنة وبث ٱلخير وٱلنور وٱلسلام بين ٱلخلق وٱلقيام بمهام ٱلأمر بالمعروف وٱلنهي عن ٱلمنكر ومهام ٱلتربية ٱلروحية للاتباع وٱلمريدين .

وهكذا كان الأمر بالنسبة للشيخ ، ففي آخر زيارة قام بها حضرة ٱلسيد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنزان قدس الله سره لأضرحة ٱلمشايخ ٱلكرام في قرية (كربجنة) كان ٱلسيد ٱلشيخ محمد قدس الله سره بصحبته وكان في تلك ٱلزيارة عدد كبير من ٱلخلفاء وٱلدراويش وٱلمحاسيب وٱلأتباع .

وبعد أن انتهى حضرة ٱلشيخ عبد ٱلكريم من مراسيم ٱلزيارة ، جلس وكانت علامات ٱلسرور تعلو وجهه ٱلكريم وقال : (يا أولادي ٱلدراويش منذ ٱليوم يكون ٱلسيد ٱلشيخ محمد شيخكم ، وهذا أمر أساتذتنا ، ومَن أطاعه فقد أطاعنا ، ومَن أحبه أحبنا ، ومَن خرج عن أمره فقد خرج عن أمرنا)

ثم نظر ملتفتاً إلى أضرحة ٱلمشايخ قائلاً : (أنا أودعكم الآن وستكون هذه آخـــر زيارة لكم ، وهذا وكيلكم ٱلذي أوكلتموه – مشيراً إلى نجله ٱلشيخ محمد –) .

كان هذا ٱلحدث إيذاناً بانتقال مشيخة ٱلطريقة من حضـــرة ٱلشـــيخ عبـــد ٱلكريم قدس الله سره إلى حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان قدس الله سره ، وتحقق ما أخبر به ٱلشيخ من أنها كانت آخر زيارة لآبائه وأجداده ، فقد ٱنتقل إلى ٱلرفيق ٱلأعلى في عـــام (١٣٩٨ هـــ) ٱلموافق للعام (١٩٧٨م) بعد زيارته ٱلأخيرة بفترة وجيزة ، وقد أرَّخ وفاته ٱلشيخ محمّد عمر ٱلقره داغي (رحمه ٱلله) رئيس علماء ٱلســـليمانية في مَرْثِيَّـــتِهِ بحقِّ ٱلشيخ عبد ٱلكريم قدس الله سره فقال :

وَفَـــاتُـــكُمْ كَـــارِثَـــةٌ عـــبـــدَ ٱلكريـــمْ

تَأْرِيخُكُمْ (فـــي جَـــنَّـــةِ ٱلخُلْـــدِ مُقيـــمْ)

٩٠ ٤٥٣ ٦٦٥ ١٩٠

وكانت وفاته فاجعة لأحبابه وخلفائه ومريديه وٱلمسلمين جميعاً لما كان يمتلك من شخصيةٍ ٱستطاعت أن تمثّـــل ٱلشخصية ٱلقيادية ببعديها ٱلروحي وٱلمـــادي ، وقد تسارع ٱلعلماءُ وٱلشعراءُ وٱلأدباءُ إلى رثائهِ وٱلثناءِ على مَنْ خَلَفَهُ وحلّ محلّـــهُ نجلهِ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنزان قدس الله سره .

ونقتطفُ أبياتاً من قصيدةٍ في رثاء ٱلشيخ عبد ٱلكريم قدس الله سره قالها ٱلشيخ ٱلعلامة عبد ٱلمجيد ٱلقطب (رحمه ٱلله) وهو علمٌ من أعلام علماء ٱلعراق ورئيس علمـــاء

كركوك مادحاً خَلَفَهُ ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس الله سره :

غَابَ عَنْ أَنظارِ أربابِ ٱلوَفَـــا ... مُرْشِدٌ مِن أهلِ بيتِ ٱلمصطفى
سيِّـــدٌ عنْ سيِّـــدٍ عنْ ســـيِّدٍ ... كُلُّهُمْ حَازُوا ٱلعُـــلا وٱلشَرَفَا
رَحَلَ ٱلشّيـــخُ وَقَـــدْ أورثنـــا ... لوعـــةً في قلبنـــا وا أسَفَـــا
رَحَلَ ٱلشّيـــخُ نَعَـــمْ لكنَّـــــهُ ... أسداً خَـــلَّف ثُـــمَّ ٱنْصَـــرَفا
ذَهَبَ ٱلشّيـــخُ وأبْقَى بعـــدهُ ... ذهبـــاً يَعْـــرِفُهُ مَنْ عَـــرَفَـــا
لَمْ يَمُتْ شيـــخٌ تَجَلَّى بعـــدهُ ... مَنْ حَـــذَا حَـــذْوَ أَبيهِ وَٱقْتَفَى

وهكذا قام ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس الله سره مقام والده ٱلشيخ عبد ٱلكـــريم قدس الله سره بعد ٱنتقاله إلى جوار ربه ، وتولّى أمور ٱلطريقة وٱلإرشـــاد ، وبايعـــه ٱلخلفـــاء وٱلدراويش أُستاذاً وأباً روحياً سنة (١٣٩٨هـــ) ٱلموافق (١٩٧٨م) .

وذاع صيت ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس الله سره وٱتسعت شهرته منذ ٱلبواكير ٱلأولى لمشيخته فأقبل ٱلناس عليه بمختلف فئاتهم ، وكان لصدق ٱلشيخ وإخلاصه مع مـــا ٱمتاز به من شخصيةٍ آسرةٍ جذّابةٍ وصبرٍ في ٱلدعوةِ إلى ٱللهِ تعالى سبباً في ٱنجـــذاب أعدادٍ كبيرةٍ من طلاب ٱلعلوم ٱلدينية وغيرهم من ٱلأطباء وٱلمهندسين وٱلمتخصصين في شتّى أنواع ٱلعلوم إليه .

وٱنتشرت ٱلطريقة ٱلكسنزانية في جميع أنحاء ٱلعراق فلا تكاد تجد مدينةً أو قريةً إلّا وللشيخ محمد ٱلكسنزان قدس الله سره تكيةٌ يقصدها ٱلمريدون وٱلأتباع بل جاوز ذلـــك ٱلبلدان ٱلأخرى كإيران وتركيا وٱلجمهوريات ٱلقوقازيـــة وٱلهنـــد وباكســـتان وٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية وبعض دول أوربا ممّا يدلّ على باع ٱلشيخ ٱلطويل في ٱلمعرفة وٱلتربية وٱلإرشاد .

وللشيخ محمد ٱلكسنزان قدس سره كرامات كثيرة وكشوفات واضحة ، ولكنّه كان ولا يزال يُعرِض عن ذكرها ولا يسمح لأحد بالتحدثِ عنها ، ويحذّر ٱلمريدين من ٱلركون إلى ٱلكشف وٱلكرامة ، ويقرِّر أنَّ ٱلتصوف خصلتان هما ٱلاستقامة وٱلسكون وأن أعظم ٱلكرامات ٱلاستقامة على شرع ٱلله عز وجل .

خلواته قدس سره :

كان حضرة ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس سره قد دخل عدة خلوات في عهد والده ، وكانت أولى خلواته بعد ستة أشهر من توليه أمور ٱلطريقة وٱلمشيخة وكان ذلك في ٱلعشرين من شعبان سنة ١٣٩٨ هـ ٱلموافق ١٩٧٨ للميلاد ، وقد صحبه عدد من ٱلدراويش وٱلخلفاء ، حيث جلس كل منهم في خلوته بعد أن تعلموا نظام ٱلخلوة وأورادها وآدابها من أستاذهم إثر محاضرة ألقاها ٱلشيخ قبل ٱلدخول إلى ٱلخلوة بنيَّة خالصة .

ودخل ٱلخلوة ٱلثانية سنة ١٣٩٩ هـ ٱلموافق ١٩٧٩ م وصَحِبَه ضعف عدد ٱلدراويش الذين دخلوا معه ٱلخلوة ٱلأولى وطبّق عليهم نظام ٱلخلوة كاملاً وخرج كلّ واحدٍ منهم بنصيبه منها .

إنجازاته ٱلعلمية وٱلصوفية :

في مجال ٱلبحث وٱلتأليف وٱلإصدارات ٱلصوفية ، له قدس سره ٱلعديد من ٱلمؤلفات ، ٱلتي طبع منها :

١ – كتاب ٱلأنوار ٱلرحمانية في ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنزانية .

٢ – نشر كتاب : جلاء ٱلخاطر من كلام ٱلشيخ عبد ٱلقادر .

٣ – كتاب ٱلطريقة ٱلعلية ٱلقادرية ٱلكسنزانية .

٤ – موسوعة ٱلكسنــــزان فيما ٱصطلح عليه أهل ٱلتصوف وٱلعرفان / وهي هذه ٱلموسوعة ٱلمباركة .

وله قدس سره عدد آخر من ٱلكتب وٱلرسائل تحت ٱلطبع منها :

- ألرؤى وٱلأحلام في ٱلمنظور ٱلصوفي .
- خوارق ٱلشفاء ٱلصوفي وٱلطب ٱلحديث .
- ألكرامات في طور جديد .
- ألكسنــــزان وٱلإنسان .
- ألتصوف .. قانون ٱلسماء ٱلأول .
- ألدعاء مخ ٱلعبادة .
- إطالة ٱلشعر في ٱلإسلام .
- ألسبحة في ٱلإسلام .
- ألخلوة في ٱلإسلام .
- ألتكايا بيوت الله .
- ألمولد ٱلنبوي وأهميته في ٱلعصر ٱلحديث .
- ألبيعة وٱلمعاهدة عند ٱلصوفية .

إنجازات علمية أُخرى :

إنَّ ٱلأسلوب ٱلحديث في ٱلتعليم يبدو أحيانًا نصوصًا مجردة من مضامينها ٱلأدبية ومدلولاتها ٱلخُلقية وإذا صار ٱلأمر كذلك يفقد ٱلعلم بذلك بهاءه وجماله

وأثره وٱتساعه ، وإذا فُصل بين ٱلعلم وٱلأدب فمهما كان ٱلمخزون ٱلعلمي وٱلثراء ٱلمعرفي فإنك واجد ضعفًا شديدًا في أثر ٱلعلم على ٱلأخلاق وٱلسلوك وتزكية ٱلنفوس وصلاح ٱلقلوب ، ولا خير في علم ٱمرئ لم يُكسبه أدبًا ويُهذِّبه خُلقًا .

من هنا كانت علاقة ٱلأندماج وٱلتقارب بين ٱلعلم وٱلتصوف تكاد تكون ٱلحقيقة ٱلثابتة في ذات ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس سره وجوهر طريقته ٱلصوفية ، فلا تكاد ترى أدنى فصل أو تباعد بين ٱلبحث ٱلعلمي وٱلتجربة ٱلصوفية عنده ، وكأنه يمسك بيديه ٱلكريمتين كفتي ٱلميزان على حد ٱلأَعتدال فلا يرجِّح كفةً على أخرى .

ويبدو ذلك واضحاً بجلاء في كل ٱلإنجازات ٱلتي يقدمها حضرة ٱلشيخ قدس سره أو يسعى لتقديمها ، ومنها :

• تأسيسه (كلية ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان ٱلجامعة) ، وٱلتي تضم إلى جانب قسم علوم ٱلشريعة وٱلتصوف وحوار ٱلأديان ، أقسام أُخرى في علوم ٱلإقتصاد وٱلسياسة وٱلقانون وٱللغة وعلوم ٱلحاسبات وٱلرياضيات ٱلتطبيقية ، وهو بلا شك إنجاز يظهر مدى تفاعل ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان مع متطلبات ٱلعصر الذي يعيش فيه وتفاعله معه بالوسائل ٱلعصرية ٱلتي تناسبه .

وهذه ٱلكلية ٱلعلمية ٱلإنسانية هي بمثابة نواةٍ لجامعة كبرى يكون لها فروع في جميع دول ٱلعالم ٱلمتحضّر كما يأمل ٱلشيخ قدس سره .

• إنجازه لتقويمٍ ٱسلاميّ رائدٍ ، نأمل أَن يُكتب له ٱلقبول وٱلأنتشار لما فيه من ٱطروحة علمية دقيقة في ٱلحسابات مستندة إلى علم ٱلفلك .

هذا التقويم هو (ٱلتقويم ٱلمحمدي) ، وهو تقويم يؤرخ للأحداث نسبة لولادة

حضرة ٱلرسول ٱلأعظم ﷺ ، وذلك كمظهر إِحتفائي دائمـــي بـــذكرى ٱلظهـــور ٱلمحمدي ٱلمجيد ، فيكون عملا يقدس ويعظم ويبجل حضرة ٱلرســـول ٱلكـــريم ﷺ، إضافة إلى أنه يُقدّم فائدة كبيرة لدارسي ٱلتاريخ ٱلإسلامي ، لأنه يُؤرّخ ٱلأحداث نسبةً إلى ٱلبداية ٱلحقيقة للتأريخ ٱلإسلاميّ ، فهو بمثابة ٱلحلّ ٱلمثالي للعديـــد مـــن ٱلمشاكل وٱلعقبات في دراسة هذا ٱلتأريخ* ، وأنَّ هذا ٱلتقويم ٱلمبـــارك لا يُلغـــي ٱلتقويم ٱلهجري بل هو ٱمتدادٌ لهُ .

• تأسيس (ٱلمجلس ٱلمركزي للطرق ٱلصوفية في ٱلعراق) في وقت بانت فيـــه بوادر تمزيق وحدة ٱلعراق ، وتشتيت كلمة ٱلمسلمين ، فجاء هذا ٱلمجلس ليوحِّـــد كلمة ٱلصوفية في ٱلعراق ، لغرض ٱلنهوض بواجبهم تُجاه ربّهم ودينهم ووطنـــهم على أكمل وجهٍ ، كما يهدف هذا ٱلمجلس إلى فتح قناةٍ للحوار وٱلتعارف مع بقية ٱلتجمعات وٱلمجالس وٱلطرق وأفراد ٱلصوفية في ٱلعالم لغرض ٱلقيام بنفس ٱلواجب تُجاه ٱلعالم ككل ، ولتوحيد ٱلكلمة ضد كلِّ مَن يحاول ٱلمساس بحرمة مقدســـات ٱلمسلمين بشكل عام وٱلصوفية بشكل خاص .

ويطمح ٱلشيخ محمد ٱلكسنـــزان قدس سره إلى أن يجد هذا ٱلمجلس صداه في قلـــوب وعقول ٱلصوفية في ٱلعالم ، ليجتمعوا على تكوين مجلس مركزي عـــالمي للتصـــوف ٱلإسلامي يكون له فروع رئيسية في كل دوله من دول ٱلعالم ، لينهضـــوا مجـــتمعين بمهامهم ٱلأساسية كدعاةٍ روحيِّين ، تُجاه ٱلمتغيرات ٱلعالميـــة علـــى أكمـــل وجـــهٍ وبالصورة ٱللائقة ٱلمشرّفة لحمل راية ٱلخير وٱلسلام وٱلمحبة بين شعوب ٱلعالم أجمع .

• موقع ٱلتصوف ٱلإسلامي (**www.islamic-sufism.com**) ، وهـــو

---

* للإطلاع على منافع هذا التقويم في دراسة التاريخ الإسلامي بالامكان الرجوع إلى الدراسة الخاصة بهذا الشأن .

نافذة عصرية يطلّ من خلالها توجه ٱلسيد ٱلشيخ محمد ٱلكسنزان قدس سره على ٱلعالم بأسلوب صوفي معاصر غير مسبوق ، ليعكس ٱلجوانب ٱلمشرقة وٱلأنفتاحية للتصوف ٱلإسلامي على ٱلآخرين .

فقد تم في هذا ٱلموقع مراعاة ٱلأخذ بأحدث ٱلبرامج ٱلإلكترونية ، وأحدث ٱلتصميمات ٱلجميلة ، مع بقاء عنصر ٱلأصالة حاضراً ، هذا من ٱلناحية ٱلفنية ، وأَمّا من ٱلناحية ٱلفكرية ، فقد أَخذ ٱلموقع طابع ٱلشمولية ولغة ٱلحوار ٱلمتمدن كخطوة أساسية في هذا ٱلعصر لردم ٱلهوة ، وتقريب ٱلمسافة مع ٱلآخر .

وقد فتح ٱلموقع أبوابه لجميع ٱلمشاركات وإبداء ٱلآراء وٱلتعارف بين جميع ٱلصوفية على ٱختلاف طرقهم وتنوع مشاربهم ، كما فتح أبوابه لجميع ٱلمفكّرين ٱلإسلاميِّين ٱلذين يهدفون إلى ٱلارتقاء بالفكر ٱلإسلامي إلى ٱلمستوى ٱلحضاري ٱلذي ينبغي له أَن يكون فيه ، بالنشر وٱلتعليق وتلاقح ٱلأفكار وٱلرُّؤى .

ومن ٱلمؤمَّل أَن يفتح ٱلموقع بابه أَمام ٱللغات ٱلرئيسة في ٱلعالم ، وأَن يستقبل ٱلبحوث وٱلدراسات وٱلمقالات ٱلتي تعمق وتوطد ٱلعلاقة ٱلفكرية وٱلثقافية وٱلعلمية بين ٱلمسلمين وغيرهم .

• موقع (ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكسنزانيَّة) وهو موقع متخصِّص بنهج وأُسلوب ومبادئ ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكسنزانيَّة ، وهو بمثابة ٱللسان ٱلناطق عنها للعالم ، وٱلصورة ٱلمعبّرة عن جوهرها ومضمونها .

• تأسيس (ٱلمركز ٱلعالميّ للتّصوّف وٱلدِّراسات ٱلرّوحية) وهو مركز أَسَّسَهُ ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنزان قدس سره في عام (١٤١٥ هـ) ٱلموافق (١٩٩٤ م)، ويتخصَّصُ هذا ٱلمركز في ٱلبحث في حالات ٱلشّفاء ٱلفوري ٱلخاصة بخوارق وكرامات ٱلطريقة ٱلتي تُثْبِتُ وجودَ ٱلذَّات ٱلإلهية وٱلمقارنة بين هذهِ ٱلخوارق من

جهةٍ وبين ٱلظواهر ٱلباراسايكولوجية من جهةٍ أُخرى وإثبات فشل ٱلأخيرة أمـــام خوارق ٱلطريقة ، إضافة إلى دراسات أُخرى يتم بحثها في هذا ٱلمركز على أيـــدي باحثين متخصصين .

بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحمنِ ٱلرَّحيمِ

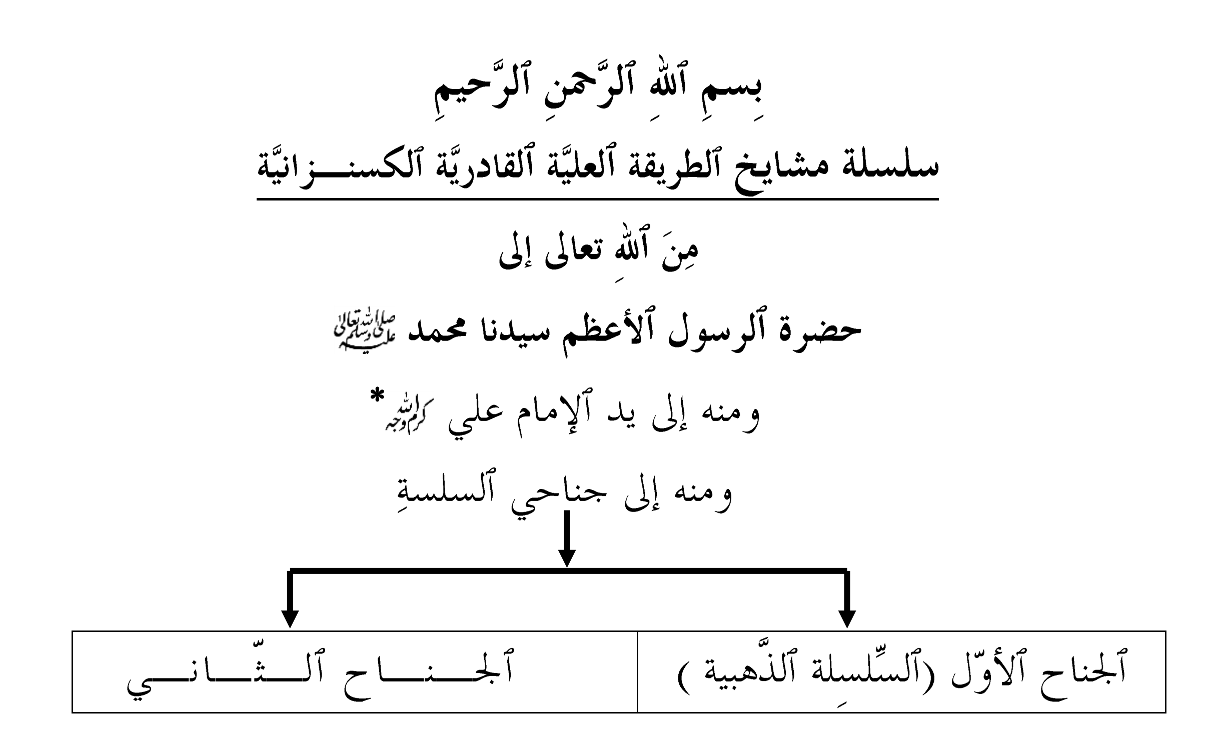
سلسلة مشايخ ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكسنـــزانيَّة

مِنَ ٱللهِ تعالى إلى

حضرة ٱلرسول ٱلأعظم سيدنا محمد ﷺ

ومنه إلى يد ٱلإمام علي كرم الله وجهه*

ومنه إلى جناحي ٱلسلسةِ



*١. ورد في الحديث الشريف (**من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**) – المستدرك على الصحيحين ج: ٣ ص: ٤١٩ .

٢. (**أنا مدينة العلم وعلي بابها**) – المستدرك على الصحيحين ج: ٣ ص : ١٣٧برقم ٤٦٣٧ عن بن عباس م .

ومنه إلى يد ٱلإمام ٱلحسين υ	ومنه إلى يد ٱلشيخ ٱلحسن ٱلبصريّ قدس الله سره
ومنه إلى يد ٱلإمام زين ٱلعابدين υ	
ومنه إلى يد ٱلإمام محمد ٱلباقر υ	ومنه إلى يد ٱلشيخ حبيب ٱلعجمي قدس الله سره
ومنه إلى يد ٱلإمام جعفر ٱلصّادق υ	
ومنه إلى يد ٱلإمام موسى ٱلكاظِم υ	ومنه إلى يد ٱلشيخ داود ٱلطّائيّ قدس الله سره
ومنه إلى يد ٱلإمام علي ٱلرِّضا υ	

ومنه إلى يد ٱلشيخ معروف ٱلكرخيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ ٱلسّريّ ٱلسّقطيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ جُنيد ٱلبغداديّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ أبي بكر ٱلشبليّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلواحد ٱليمانيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ أبي فرج ٱلطرسوسيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ عليّ ٱلهكاريّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ أبي سعيد ٱلمخزوميّ

ومنه إلى يد ٱلشـيخ عبـد ٱلقـادر ٱلجـيلانيّ

ومنه إلى يد ٱلشـيخ عبـد ٱلـرّزاق ٱلجـيلانيّ

ومنـه إلى يـد ٱلشـيخ داود ٱلثـانيّ

ومنـه إلى يـد ٱلشـيخ محمّـد غريـب ٱلله

ومنه إلى يد ٱلشـيخ عبـد ٱلفتّـاح ٱلسّـيّاح

ومنـه إلى يـد ٱلشـيخ محمّـد قاسـم

↓

↓

ومنـه إلى يـد ٱلشـيخ محمّـد صـادق

ومنـه إلى يـد ٱلشـيخ حسـين ٱلبُصـرائيّ

ومنـه إلى يـد ٱلشـيخ أحمـد ٱلإحسـائيّ

ومنـه إلى يـد ٱلشـيخ إسماعيـل ٱلوليـانيّ

ومنه إلى يد ٱلشـيخ محيـي ٱلـدّين كركـوك

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبـد ٱلصـمد كلـه زرده

ومنه إلى يد ٱلشيخ حسين قازان قاية

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلقـادر قـازان قايـة

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلكريم شاه ٱلكسنـزان

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد القـادر ٱلكسنـزان

ومنه إلى يـد ٱلشـيخ حسـين ٱلكسنـزان

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلكـريم ٱلكسنـزان

ومنه إلى رئيس الطريقة الحاضر ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنـزان

قدس الله أسرارهم أجمعين

نفعنا ٱللهُ سبحانه وتعالى ببركة رجال هذه ٱلسِّلسلةِ ٱلمباركةِ ٱلشّريفةِ وَمَـنَّ علينا بصفاءِ ٱلمعرفةِ وحسنِ ٱلنِّيةِ وَصِدْقِ ٱلطَّوِيَّـةِ وجعلنا مِنْ عبـادِهِ ٱلْمُخْلِصِـينَ ٱلْمُخْلَصِينَ وفتحَ علينا فتوحَ ٱلعارفينَ ٱلذينَ هُمْ صفوةُ ٱللهِ مِنْ خَلْقِهِ وأَنْ يُحَقِّقَ فينا وصفَ ٱلعبوديَّةِ ٱلذي تحلَّى به أَولياءُ ٱللهِ ٱلَّذينَ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنـونَ ٱلذين آمنوا وكانوا يتَّقونَ . وأخر دعوانا أن ٱلحمد لله ربِّ ٱلعـالمينَ وصـلَّى ٱللهُ وسلَّمَ وباركَ على سيِّدنا ومقتدانا محمَّدٍ وعلى آلهِ ٱلطّاهرينَ وأزواجـهِ أُمَّهـاتِ ٱلمؤمنينَ وصحابتهِ أَجمعين وَمَنْ دعا بدعوتهِ إلى يومِ ٱلدّين .

رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

الدكتور

نـــهرو محمّد عبد ٱلكريم ٱلكسنـــزان ٱلحسيني

ٱلنَّجْل ٱلأكبر للمُؤَلِّف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . اللهم لك الحمد حمداً يوافي نعمك ويكافيء مزيدك على ما اتممت علينا من نعمة الإسلام ومنّة الايمان وتحفة الإحسان وان جعلتنا من امة قلت فيها (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**)(1) .

اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

أما بعد : – فان أعظم العلوم واسماها قدراً وأعلاها مترلة علوم الشريعة الغراء المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهي ميراث النبوة ، وسنا ضياء الرسالة ، وهي الورد المورود لمن أراد الريّ ليطفيء ظمأ قلبه في دنيا يركض فيها ركض واصب ، وراء سراب كاذب ، ولكي يجنّب خطاه السير في طريق مائلة ، ولا ينام نومة الغافل مستظلا بظلالها الزائلة .

وان من تمام منّة الله تعالى على هذه الأمة المرحومة ان هيأ لها من يحمل أنوار هذه الرسالة المحمدية المباركة فقد جدّ علماء هذه الأمة في إحكام الفرائد ، واقتناص ، الشوارد فنظموا علومهم نظم القلائد ، التي تحلت بها نحور العصور ، على مدى الدهور ، وكان من نتاج تمحيصهم واستقرائهم للنصوص الشريفة ان حصروا ما يتعلق منها بالأحكام في ثلاثة أنواع ، اختص بدراسة كل نوع منها علم أصيل من علوم الشريعة . وأنواع الأحكام المستنبطة من مصادر التشريع هي : –

١– آل عمران : من الآية ١١٠ .

أولاً : – الأحكام الاعتقادية : وتسمى أيضا بالأحكام العلمية واختص بدراستها علم العقائد أو علم الكلام .

ثانيا :– الأحكام العملية : واختص بدراستها علم الفقه.

ثالثا : – الأحكام الخُلقية : واختص بدراستها علم التصوف .

ولكل علم من هذه العلوم الشريفة علماؤه ومصنفاته التي تتكحل بها عيون الطـــالبين ومصطلحاته التي تُحكَم بها فرائد المصنفين . وما هذه الموسوعة المسماة بــــ (**موســـوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف العرفان**) والتي نقدمها بين يـــدي القـــاريء الكريم إلا خلاصة جهد جهيد بذلت فيه أنفس الأوقات لاستقراء معاني المصطلحات الـــتي جرت على لسان أئمة التصوف منذ نشأته الأولى كعلم يدرس الأحكام الخلقية التي تضبط سلوك العبد مع نفسه ومع الخلق ومع رب الخلق جل في علاه وهو المثمر للمعرفة التي تتحقق فيها العبودية الحقّة لله تعالى وذلك سبب الخلق الذي تضمنه قول الله تعالى [**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**] [1] .

وإننا إذ نقدم موسوعتنا هذه نود ان نُعلمَ القاريء الكريم أننا ضمّنا فيها كل ما قيل في كل مصطلح على غالب ظننا وخبرتنا المتواضعة ولا يعني ذكرنا للآراء الخاصة بكل مصطلح اننا نتبنى هذا الرأي أو ذاك فكل ما ورد منسوب إلى قائله اما ما نذكره خاصـــاً بطريقتنـــا فذاك ما ينسب إلينا ، وهذا منهج عام في جميع الموسوعات التي يهمهـــا جمـــع الآراء دون ترجيح أو اعتراض .

نسال الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وان يمن علينا بصفاء المعرفة انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير

وصلى الله على سيدنا محمد الوصفِ والوحي والرسالةِ والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسلماً

---

١ – الذاريات : ٥٦–٥٧–٥٨ .

مدخل

أهمية موضوع الموسوعة :

شهد العالم ولا يزال يشهد ثورة علمية شاملة أحدثت تغييرات جذرية في كافة نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، بل إن التطور والتغير أصبح سمة من سمات عالمنا المعاصر في نهايات القرن العشرين ، وكان لابد لكل هذه المتغيرات من أن تؤثر في حياة الفرد الإيمانية وأن تسحبه بقصد أو بدون قصد إلى زاوية النظر بالمنظار المادي المجرد من كل عاطفة أو روح ، الأمر الذي أدى إلى التغافل عن الجانب الروحي في الحياة والذي جعله الله تعالى جنباً إلى جنب المادة من الأعمدة الأساسية لحياة الإنسان ، يقول تعالى : [**الَّذي أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدأَ خَلْقَ الْإنْسانِ مِنْ طينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهينٍ . ثُمَّ سَوّاهُ وَنَفَخَ فيهِ مِنْ روحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والْأبْصارَ والْأفْئِدَةَ قليلاً ما تَشْكُرونَ**] [1] ، وهو نص فيه دلالة واضحة منه تعالى إلى جمع الإنسان في أصل خلقته إلى جانب المادة الممثلة (بالطين) أو (الماء المهين) جانب الروح ممثلة (بالنفخ) وبالتالي فإن قوام الحياة الدينية أو الدنيوية من حيث الفكر والتعامل ينبغي أن يكون متوازناً في الجانبين المادي والروحي معاً للوصول إلى أوج الكمال الذي خلقت الإنسانية لتتحقق به .

ولقد كان عبر العصور ولا زال هناك رجال اختصتهم العناية الإلهية لإبراز الجانب الروحي في الدين والحياة بنسبة تعادل كفة التطور المادي في كل عصر من عصور الأمة الإسلامية خصوصاً والإنسانية عموماً ، وهم رجال التصوف الإسلامي ، فكانت أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم مشاعل من نور تضيء في الإنسانية مكامن المشاعر الحقة والأحاسيس الصادقة لتعينها على الخروج من كمونها في القوة إلى الفعل في الحياة .

---

١ – السجدة : ٧ – ٩ .

وعليه فإن أهمية موضوع الكتاب تكمن في أن العالم يمر بمرحلة جديدة عملت على صياغتها الثورة التقنية الحديثة ، وأن الوجه المكافئ له هو استحضار الماضي الصوفي متمثلاً بمعظم فعاليات أولئك الرجال وآثارهم في الحياة وأدوارهم الجبارة في سبيل النهوض بجانبها الصافي ومحاولة بث الروح فيه من خلال إعادة ترتيبه ونشره بأسلوب علمي معاصر .

ولما كان التأريخ كعادته يصوغ الماضي بهيئة المصطلحات والألفاظ والعبارات .. الخ جاءت أهمية حصر ما يمكن حصره من تلك الآثار الاصطلاحية الخالدة ومحاولة الإحاطة بها وتبيان مضمونها ومعرفة الآثار المترتبة عليها بوصفها خطوة موسوعية أولى في هذا المجال .

أهداف الموسوعة :

تهدف الموسوعة – من خلال جمع أقباس من مشاعل أهل التصوف والعرفان ، متمثلة بما انفرد به الصوفية من المصطلحات المنيفة ، والإشارات اللطيفة ، والعبارات الفصيحة ، والألفاظ المشكلة الصحيحة ، وشيء من فيوضات أساتذة الطريق إلى الله تعالى ومشايخه (قدس الله أسرارهم أجمعين) – إلى جملة أمور منها:

١. شعورنا بالمسؤولية تجاه ديننا الإسلامي العظيم والمسلمين في زمن صار العالم فيه وكأنه يحيا في مجاعة روحية لا حد لها ، وصار الناس في حاجة ماسة إلى إلقاء الضوء على تاريخ التصوف الإسلامي منذ النشأة إلى عصرنا الراهن .

٢ . للسير مع ركب التقدم الحضاري المعاصر ولسد حاجة المكتبة الإسلامية لهذا النوع من الأعمال الصوفية المعجمية الذي تفتقر إليه ، في الوقت الذي زخرت فيه بمختلف أنواع الموسوعات والمعاجم في شتى صنوف العلوم والمعارف الدينية والدنيوية الأخرى .

٣. إلقاء الضوء على المصطلحات الصوفية ، أصولها ، مبادئها ، مراحلها ، معاييرها ، ضمن إطار التخطيط المعجمي المعاصر .

٤.كشف الغطاء عن شيء من معاني علوم الصوفية وأعمدة أصولهم وأساس مذهبهم ، ورفع النقاب عن مقاماتهم ومراتبهم وأحوالهم ومواجيدهم وما اختصوا به من مقامات التقرب إلى الله تعالى .

٥. الكشف عن حقيقة الترابط بين ماضي المصطلحات الصوفية وحاضرها ، وملتقى الغاية الواحدة منها ، مع تعداد طرقها ، وتنوع مشاربها ، معتمدين بذلك على الروافد التي تمدها ، والأصول التي تتفرع منها ، من مصادرها الأصلية .

٦. تيسير تناول المصطلحات الصوفية وفهم ما استغلق على الكثيرين منها .

٧. توفير مادة صوفية كاملة لكل باحث أو دارس أو طالب علم في هذا المجال بحيث تغنيه عن الرجوع إلى الكتب والمكتبات ، وعن البحث عن المعلومات هنا وهناك .

٨. الترتيب بحسب التسلسل الزمني يهدف من ضمن ما يهدف إليه تسهيل تتبع المصطلحات في الدراسات التحليلية المقارنة .

إشكالات الموسوعة وحلولها :

خلال رحلة الكتاب في عالم الاصطلاح الصوفي واجه عدة مشكلات يندر مواجهتها في غير هذا المجال ، إذ أن كل ما سوى التراث الصوفي من أنواع العلوم والمعارف الدينية أو الدنيوية مؤسس على أسس عقلية ومنطقية لا تخفى على أصحاب تلك العلوم إلا مؤلفات الصوفية فإنها تجاوزت العقل – بعد الأخذ به في حدود معينة – إلى ما وراءه من أمور الإحساس والذوق والكشف والإلهام ، الأمر الذي جعل من الضروري اتخاذ خطوات مرنة تؤدي إلى تجاوز تلك المشكلات بما يجعل الكتاب أكثر سهولة في عصر يتطلب كل ما يبسط الأمور وييسرها للناس . ومن تلك المشكلات :

أولاً : مشكلة حصر التراث الصوفي :

كانت أول مشكلة تواجه الكتاب هي مشكلة الصعوبة الكبيرة في حصر التراث الصوفي ضمن عمل موسوعي واحد بل يمكن القول إن هذا الحصر هو في الواقع ضرب من المحال ، إذ أن ذلك يستوجب دائرة معارف كبرى بل دوائر بحيث تتخصص كل واحدة منها في ركن من أركان هذا الجانب الثر من جوانب ديننا الإسلامي العظيم .

وعملاً بقاعدة : (ما لا يدرك كله لا يترك كله) رأينا أن نتناول قبضة من ذلك

التراث الإسلامي الوفير على أن تشكل تلك القبضة نقاط الالتقاء لكل تفرعات التصوف الإسلامي و لم نجد ما يجمع نواحيه الكثيرة غير (المصطلحات الصوفية) فهي كالعناوين لأبوابه الكثيرة ، فكان اختيارنا لها لتكون بمثابة الأنموذج المختصر لذلك العالم المعرفي الكبير .

ثانياً : مشكلة حصر المصطلحات الصوفية :

بعد أن تقرر التوجه إلى جمع المصطلحات الصوفية واجه الكتاب كماً هائلاً ومتداخلاً من الألفاظ والعبارات والمعاني والدلالات الاصطلاحية بحيث يصعب بل ويمتنع أحياناً تحديد ما يؤخذ منه وما يترك ، فاضطرَّنا ذلك إلى تحديد خطٍّ مختصر جديد لسيرنا وقع اختيارنا فيه على تناول عدة أمور تمثل بجملتها جوهر عالم الاصطلاح عند الصوفية وهي :

- المصطلحات الصوفية التي تم تعريفها على ألسنة واضعيها والتي من أشهرها كتاب (اصطلاح الصوفية) للشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سره وكتاب (اصطلاحات الصوفية) للشيخ كمال الدين القاشاني وكتاب (التعريفات) للشريف الجرجاني عند المتقدمين ومعاجم المصطلحات المعاصرة (كمعجم مصطلحات الصوفية) للدكتور عبد المنعم الحفني وغيره .
- المصطلحات الصوفية التي لم يتم فرزها في مصادر خاصة بل وردت عرضاً على ألسنة مشايخ الصوفية أو ضمن مؤلفاهم ، فقد تم حصرها ضمن نصوصها وإضافة بعض الضمائر إليها كـ(هو) أو (الذي) أو غيرها في مقدمتها لتصبح في ترتيبها كهيئة التعريف مما يحافظ على وحدة المعجم الاصطلاحية ويسهل على القارئ الكريم التعامل معها كمصطلحات مستقلة .
- الألفاظ الصوفية التي لم يتم تعريفها أصلاً من قبل الصوفية بل وردت بشكل ألفاظ مجردة على ألسنتهم وفي مؤلفاهم ، كأوتار الشوق وأجنحة المحبة وغيرها ، وقد أدرجت في ملحق خاص بها ، إذ أنها تمثل موروثاً صوفياً غزيراً لم يفرد له بحث لحد الآن على حد علمنا .
- الألفاظ غير الصوفية كأسماء الله تعالى وأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم تم أخذها لأنها عرفت

عندهم بطريقة صوفية فدلت على معان تعطي في جملتها معنً اصطلاحياً لذلك اللفظ العام .

● ألفاظ الصلوات على الحضرة المحمدية المطهرة والتي تفرد الصوفية بها في ديننا الإسلامي ممثلة في الأحزاب والأوراد التي تعبدوا الله تعالى بها إضافة إلى فروض الدين ، وهي في جملتها تربط بين الحقيقة المحمدية والحقيقة الوجودية على اختلاف مراتبهما ، والمطلع على ألفاظ الصلوات الصوفية يجدها كنزاً من أعظم كنوز الاصطلاح في الإسلام .

● ألفاظ عامة كالأراك أو البيت أو الشجر أو الخيام ..الخ ، اتخذها الصوفية كرموز وكنايات يعبرون بها عن مواجيدهم وحالاتهم وكشوفاتهم ، فكان أن أعطوها معنً اصطلاحياً ، وقد تم تناولها كغيرها من الألفاظ والمصطلحات .

● الأفكار والآراء والعبارات الصوفية الدالة في مضمونها على معنى اصطلاحي ، وهي من أكثر ما ورد في التراث الصوفي ، ولكي لا تهمل أو تبقى في طي النسيان تم دراستها بدقة وتم التصرف بطرحها في شكل ينسجم مع إطار التعريف الاصطلاحي للموسوعة وإدراج كلمة (بتصرف) ملحقاً بهامش كل نص منها . وقد تم اتخاذ هذه الخطوة لتحقيق عدة أهداف موضوعية ، لعل أهمها إيصال أكثر ما يمكن إيصاله من آراء الصوفية إلى الناس بشكل يألفه أهل هذا العصر وكذلك لكي لا يتشتت القارئ الكريم بين ما هو مصطلح وما هو عبارة أو نص مقتبس .

ثالثاً : مشكلة نظام ترتيب المصطلحات والألفاظ الصوفية :

لغرض ترتيب الآلاف من المصطلحات والألفاظ الصوفية إضافة إلى مشتقاتها وملحقاتها بما يسهل على القارئ الكريم سرعة الوصول إلى المصطلح أو اللفظ المطلوب كان أمام الكتاب نظامان رئيسيان هما :

● نظام الترتيب بحسب (المواد) في اللغة العربية ، حيث ترجع معاجم اللغة والفهرسة المعاصرة أصول الكلمات على حسب أوائلها فثوانيها فثوالثها فتفتتح المعجم بمادة (أ ب) وتختتم بمادة (ي و م) وهي طريقة الزمخشري في الأساس ، والفيومي في

المصباح والتي اتبعها أصحاب المعاجم العصرية كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي وأقرب الموارد للشرتوني والمنجد والمعجم العربي الأساسي الخ .

وبعد الأخذ بأصل الكلمة اعتمدوا في ترتيب مشتقات الكلمة على عدة أساليب تجتمع في جملتها في هدف واحد هو تجميع كل متعلقات الكلمة من تفرعات ومشتقات وملحقات في مادة واحـــدة ، فعلى سبـــيل المثال تحصر مادة (ص و ف) في اللغة العربيـــة الألفاظ (صَافَ ، صوَّفَ ، تصَوَّفَ ، تَصوُّفٌ ، تصْويفٌ ، صُوفٌ ، تصْويفٌ ، صوُفٌ ، صُوفِيٌّ ، صُوفِيَّةٌ ، صَوَّافٌ ، مُتَصَوِّفَةٌ)[1] .

● نظام الترتيب (الألف بائي) وهو يعتمد على ترتيب الكلمات بحســب أوائــل حروفها دون التقيد بالمواد فيه ، فنجد مثلاً كلمة (تَصوُّفٌ) في حرف (التاء) بينما نجد كلمة (صُوفِيٌّ) في حرف (الصاد) و (متصوِّفَة) في حرف (الميم) .

وبعد دراسة هذين النظامين وجدنا أن لكل منهما حسنات ومساوئ بالنسبة لترتيب الموسوعة بناءاً على أحدهما ، فالنظام الأول يجمع – بين يدي القارئ – المصطلح الصوفي وجميع متعلقاته وملحقاته ومشتقاته ، وحين يريد باحث أو قارئ أن يطلع على مصطلحات موضوع معين يجد جميع متعلقات الموضوع ضمن مادة واحدة . ولكن نقطة الضعف في التعامل مع هذا النظام تكمن في أنه قد يصعب على البعض إرجاع المصطلح إلى أصوله في اللغة العربية ، فعلى سبيل المثال أن مصطلحات مثل (التقوى ، الإنابة ، الصفات) قد توهم القارئ من غير ذوي الاختصاص أن (التقوى) في حـــرف (التاء) و (الإنابة) في حرف (الألف) و (الصفات) في حرف (الصاد) في الوقت الذي يرجع فيه مصطلـــح (التقوى) إلى حرف (الواو) مادة (و ق ى) ومصطلح (الإنابة) إلى حرف (النون) مادة (ن و ب) ومصطلح (الصفات) إلى حرف (الواو) مادة (و ص ف) . وقد يكون من الأسهل لو أنا اتبعنا في ترتيب المصطلحات الصوفية النظام الثاني .

---

١ – أنظر : المعجم العربي الأساسي – ص ٧٥٧ .

ولكن إذا كان النظام (الألف بائي) قد يحل إشكالية وصول بعض القراء إلى المصطلحات التي يريدون ويسهلها عليهم فيجد مثلاً مصطلح (الاستقامة) في حرف (الألف) بدل أن يجدها بناءاً على النظام الأول في حرف (القاف) مادة (ق و م) ، فإنه يفتح الباب لإشكالية أخرى أكبر من هذه وهي تشتت مصطلحات المادة الواحدة وتفكك ترتيبها مع بعضها البعض فيصبح على القارئ لزاماً أن يفتح حرف الألف لقراءة مصطلح (الإيمان) مثلاً ثم ينتقل إلى الجزء الحاوي على حرف (الميم) ليكمل موضوعه فيطلع على مصطلح (المؤمن) ويصبح مصطلح (التصوف) في (التاء) والصوفي في (الصاد) و (المتصوف) في (الميم) وهو ما يفقد الكتاب هدفاً من أهم أهدافه وهو تجميع أفكار الصوفية ومصطلحاتهم المعروفة وغير المعروفة وترتيبها في مكان واحد بحسب التسلسل الزمني ليتسنى رؤية تغيرات الفكر الصوفي عبر الزمن وليسهل على الباحث أخذ المادة التي يريد لدراسته بكل يسر وسهولة .

وللخروج من هذه المشكلة أخذ الكتاب بحسنات كلا النظامين فاعتمدنا النظام الأول بشكل رئيسي في ترتيب المصطلحات - مع إجراء بعض التعديلات التي تتناسب وطبيعة المصطلحات الصوفية كما سيرد بيانها — وتم إنشاء فقرة بعنوان (مصطلحات متفرقة) يدرج ضمنها أسماء أهم المصطلحات الموهمة للقارئ والدليل إلى الحرف والمادة التي يجدها القارئ فيها ، فمثلاً إذا أراد القارئ مصطلح (الاستقامة) وفتح حرف الألف فسيجد بعد مصطلح (الأستاذ) ما يلي :

مصطلحات متفرقة

الاستقامة : أنظر مادة (ق و م)

منهجية الموسوعة

إن سعة علم التصوف بما يمثله من كونه الجانب الروحي في الإسلام العظيم و توخياً لمزيد من الفائدة ولتحقيق أكبر قدر ممكن من الإحاطة والشمول بموضوع الكتاب جعلنا لا نقصر هذه الموسوعة على ركن (الاصطلاح الصوفي) فقط ، فقمنا بإضافة أركان أخرى تمثلت بذكر عدد من الإضافات والإيضاحات والمسائل والمباحث والتفاسير الصوفية والمواعظ والحكم والنصائح والوصايا والمقارنات والتعليقات والنوادر والأشعار والحكايات وما إلى ذلك مما له علاقة بالمصطلحات . وذلك لكي يجد الطالب أو الباحث نفسه أمام روضة روحية غنّاءةٍ ، له فيها ما يشاء من فاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

من هنا وجدنا أنفسنا أمام صعوبة في حصر هذه الآفاق الصوفية ضمن خطة منهجية واحدة ، فقمنا باعتماد عدة مناهج علمية بطريقة تجعلها مجتمعة في وحدة موضوعية ، إرضاءاً لمتطلبات الموسوعة خاصة إن موضوع المصطلحات والألفاظ الصوفية يتسم بشيء من الحداثة نسبياً ، وركزنا بالتحديد على استخدام المنهج التاريخي لتهيئة الأرضية التاريخية الملائمة للانطلاق نحو بلورة رؤية واضحة تجاه تطور المصطلحات الصوفية فضلاً عن استخدام المنهج الوصفي التحليلي .

هيكلية الموسوعة وترتيبها

نبيّن فيما يلي بعض الإيضاحات التي تتعلق بالشكل العام لترتيب الموسوعة :

- تم تناول المصطلح بادئ ذي بدء من الناحية اللغوية مستقين ذلك من أحد المعاجم اللغوية ، ليتسنى للقارئ أن يلمس مدى اقتراب المعنى الاصطلاحي وابتعاده في الوقت نفسه عن المعنى اللغوي للكلمة ، فقد جعل المعنى اللغوي في بساطته المقصودة مرآة للمصطلحات الصوفية ، وقد تحددنا بمعجم واحد تقريباً وهو المعجم العربي الأساسي لما يتمتع به من مزية منطقية وهو من أحدث وأيسر المصادر اللغوية المعاصرة ، إذ جمع إلى إيجازه شمول كل الأصول التي يمكن أن تتفرع إليها الكلمة ، إضافة إلى احتوائه على الألفاظ المعاصرة .

● ثم ثنينا المعنى اللغوي بورود الكلمة في القرآن الكريم ، وقد تجنبنا معناها إذ ذلك يرجعنا إلى كتب التفاسير وهي كثيرة وكل مفسر يرى بمرآته هو ، ومن خلال تجربته هو ، ويفسره بالفن الذي برع فيه ، وهذا قد يغرقنا في بحث قرآني يخرجنا عن مقصودنا ، لذلك أوردنا لفظ المصطلح في القرآن الكريم وعلى اختلاف مشتقاته - هذا إن وجد - معتمدين في ذلك بشكل رئيس على (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقي .

● ثم ذكرنا ورود لفظ المصطلح في السنة المطهرة إن وجد .

● وأخيراً يذكر مضمون المصطلح عند مشايخ الصوفية . ولم يكن ذلك ليحصل دون عناء ، لاسباب متعددة منها غزارة نتاج المتصوفة في كل الجوانب ، ومنها عدم لمسنا لمنهج منطقي يعرض لأفكارهم وآرائهم . وقد تخطينا ذلك بعزل كل النصوص التي يرد فيها المصطلح المطلوب ، ثم قارنا بعض هذه النصوص ببعضها ، واستخلصنا من ذلك المضامين المناسبة مع بعض الترتيبات التوضيحية أحياناً .

ومن جهة ثانية تم الاعتناء الشديد بترتيب أسماء المشايخ على حسب التسلسل الزمني لحياتهم ؛ وذلك لكي يتابع الباحث أو الطالب المراحل التاريخية لتطور وتغير أي مصطلح عبر الأجيال ، وكما لا يخفى فإن هذه فرصة نادرة لدارسي التراث الصوفي وخاصة الدراسة المقارنة ، إذ تختصر الطريق أمامهم ليحيطوا بكل سهولة ويسر بالمادة الصوفية التي يريدون بحثها من بداية ظهورها إلى العصر الحديث .

هذا وقد تم إدراج بعض التعليقات أو التعقيبات أو الإضافات التي تتناسب وعدد من النصوص الصوفية لزيادة الفائدة للقارئ الكريم . كما تم الاستفادة من بعض آراء الباحثين والدارسين والمفكرين وغيرهم من حيث نقلهم لأفكار الصوفية وبعض التحليلات المناسبة لتلك الأفكار .

● ثم يلي ذلك فقرة (في اصطلاح الكسنزان) والتي خصصت لعرض آراء الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في بعض المصطلحات سواءً القديمة منها أو المعاصرة .

• بعدها تأتي فقرة (إضافات وإيضاحات) وفيها يتم عرض عدد كثير من المسائل على المصطلحات بما يزيل غموض بعضها أو يكشف النقاب عن المراد ببعضها الآخر ، و بما يتناسب وطلاب العلم في العصر الحديث . كما ويذكر فيها العديد من التفاسير الصوفية لآيات من القرآن الكريم تتناسب والمصطلح المعروض والعديد من الحكم والمواعظ والنوادر والفوائد والأشعار والحكايات الصوفية .. الخ . وقد حرصنا في عملنا هذا أن يجمع الكتاب الكثير من منوعات النصوص الصوفية ليتسنى للقراء أن يعيشوا مفاتن لغتهم وينفذوا إلى عمق تعبيراتهم .

• ثم يتلو ذلك عرض لمباحث صوفية سواء كانت لمشايخ الصوفية أو لباحثين معاصرين ثم تليها المباحث الخاصة بالطريقة الكسنزانية إن وجدت .

• يلي ذلك فقرة (المصطلحات المتفرقة) وهي دليل يساعد القارئ على الوصول إلى المصطلح الذي يتوهم وروده في غير حرفه الصحيح .

• في نهاية الكتاب تم إنشاء ملحقين أحدهما يتعلق بالألفاظ الصوفية الخاصة بالصلوات على الحضرة المحمدية المطهرة ، والآخر خاص بالألفاظ الصوفية العامة .

• وتم تخصيص الجزء الأخير من الموسوعة للفهارس الخاصة بالآيات والأحاديث والمصطلحات وتراجم المشايخ والأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب و يتضمن أيضاً فقرات أخرى يلي شرحها في ذلك الجزء .

ترتيب المصطلحات وقواعد الاستخدام :

نبيّن فيما يلي بعض الإيضاحات والخطوات التي تم ترتيب المصطلحات على أساسها وقاعدة الاستخدام :

• تم اعتماد النظام (الألف بائي) في ترتيب أجزاء الموسوعة فيبدأ الجزء الأول بحرف (الألف) وينتهي الجزء الأخير بحرف (الياء) .

• تم اعتماد نظام (المواد) المعمول به في معاجم اللغة والفهرسة والتي تبدأ بمادة (ا ب ب) وتنتهي بمادة (ي و م) .

- تم إرجاع المصطلحات إلى جذورها الثلاثية أو الرباعية فما فوق من جذور اللغة العربية وبعدها تم توزيعها على (المواد) المناسبة لها وكما في المثال التالي :

أخذ لفظ المصطلح كأن يكون (الإيمان) أو (الأمانة) مثلاً وتم إرجاعهما إلى جذورهما الثلاثية في اللغة العربية فكان الجذر لكل منهما (أمن) فأدرج في مادة (أ م ن) وهكذا أدرج مصطلحي (الأنس) و (الإنسان) في مادة (أ ن س) لأن جذريهما هو (أنس) .

- تم ترتيب المصطلحات ضمن المادة الواحدة كما في تسلسل المثال التالي :

١. الإيمان : وهو المصطلح الأصلي .
٢. نور الإيمان : وهو ملحق بالمصطلح الأصلي .
٣. الإيمان الكامل : وهو مصطلح مركب تابع للمصطلح الأصلي .
٤. أهل الإيمان الكامل : وهو ملحق بالمصطلح المركب أعلاه .
٥. المؤمن : وهو مشتق من المصطلح الأصلي .
٦. قلب المؤمن : وهو ملحق بالمصطلح المشتق .
٧. المؤمن الحقيقي : وهو مصطلح مركب تابع للمصطلح المشتق .
٨. نور المؤمن الحقيقي : وهو ملحق بالمصطلح المركب الأخير .

ويمكن تلخيص الطريقة التي اتبعت في ترتيب المصطلحات بالقاعدتين التاليتين :

القاعدة الأولى : يتم ذكر المصطلح الأصلي وملحقاته ثم توابعه وملحقاتها .

القاعدة الثانية : يلي ذلك ذكر المصطلح المشتق من الأصلي وملحقاته ثم توابعه وملحقات التوابع .

- تم ترتيب المصطلحات ضمن القاعدتين أعلاه على حسب ترتيب الحروف (الألف بائي) باستثناء بعض الحالات التي حصل فيها تقديم أو تأخير مراعاةً لوحدة المصطلح الموضوعية .

مصادر الموسوعة :

اعتمدت الموسوعة على عدد كبير من المصادر والمراجع الصوفية المطبوعة والمخطوطة ، القديمة والمعاصرة ، هذا بالإضافة إلى المصادر اللغوية والحديثية والدينية العامة . ويمكن القول إن الموسوعة إن لم تجمع كل أمهات المصادر الصوفية وفروعها فقد جمعت معظمها بما لم يسبق له مثيل من قبل في كتاب أو موسوعة .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الموسوعة تكشف ولأول مرة في العالم الإسلامي عن مصادر ومعلومات صوفية لم تنشر سابقاً ، فقد تم فيها تحقيق أكثر من مائة وخمسون مخطوطة قديمة لم تحقق سابقاً مثل (جواهر الأسرار ولطائف الأنوار) للشيخ عيسى بن الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره العزيز ، و (مراتب القرة في عيون القدرة) للشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سره . وقد حاولنا جهد الإمكان الحصول على المخطوطات من دورها الخاصة بها سواء المحلية منها كدار المخطوطات العراقية ومكتبة وزارة الأوقاف العامة أو العالمية كالمتحف البريطاني في لندن ومتحف دلهي في الهند وغيرها من المصادر الأصلية .

دراسة حول المصطلح الصوفي

المصطلح في اللغة

« المصطلح : هو العرف الخاص ، وهو عبارة عن اتفاق القوم على وضع الشيء .

وقيل : هو إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد منه ، وذلك لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر أو تشابههما في وصف إلى غير ذلك » [1] .

فالمصطلح هو ما تم الاتفاق عليه ، يقال : (هذا الأمر مصطلح عليه) أي متفق عليه ، والاصطلاح لفظ اتفقت طائفة مخصوصة على وضعه فلكل علم أو ميدان اصطلاحاته كاصطلاحات الفقهاء واصطلاحات الأطباء وغيرهم .

---

١ - المعلم بطرس البستاني – محيط المحيط – ص ٥١٥ .

المصطلح عند الصوفية

المصطلح هو مفرادت يستخدمها الصوفية للتعبير عن تجارهم الروحية في التقــرب إلى الحق تعالى ، وهي ناتجة عن ذوق أو كشف صوفي .

لقد تكون من اجتماع المفردات الاصطلاحية عند الصوفية أشبه ما يكون بلغة خاصة تميزت وتفردت بدقة العلم اللغوي ، ورقة الأدب الموهوب ، وشـــرف الـــروح الملهمـــة . ولغرض إلقاء نظرة على هذه المصطلحات وما طرأ عليها من تغيير تبعاً لنمو شجرة العلـــم اللدني في قلوب العارفين فإننا سنعرض لمحة تاريخية موجزة لأهم مراحل تطـــور المصـــطلح الصوفي وتدوينه عبر القرون الهجرية المتتالية .

لمحة تاريخية عن المصطلحات الصوفية وتدوينها

إن المصطلحات الصوفية شأنها شأن أي مصطلحات دينية أو علمية أخرى خضـــعت لعملية نمو تاريخي مستمر تبعاً لتأثرها بالعوامل المختلفة وما تفرضه تلك العوامل من ابتعـــاد عن المعنى الأول للمصطلح واكتسابه لمعان جديدة وإسقاطه لمعان قديمة كانت جزءاً من معنى ومدلول المصطلح ، فمثلاً كان مصطلح (التصوف) على مســتوى الحضـــارة العربيـــة الإسلامية يدل كلفظ على الزهد ، ثم صار يدل على موقف استثنائي فردي في البيئة الدينية أو الروحية عامة ، ومن ثم اكتسب صفة موقف خاص في المعرفة والوجود ، وهكذا تدرج مفهوم هذا المصطلح عبر مراحل تطور التصوف ، واكتسب اللفظ في العصر الحديث معاني جديدة . وهكذا بقية المصطلحات الصوفية ، وفيما يلي نعرض أهم مراحل التطور والـــتغير التي مرت بها المصطلحات الصوفية من القرن الهجري الأول إلى عصرنا الحاضر :

المصطلحات الصوفية في القرن الهجري الأول

إن مفهوم علم التصوف من حيث الظهور أو الاصطلاح أو التدوين كـــان في بـــادئ الأمر بسيطاً جداً ، فلم يخرج عن حدود الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الدالـــة علـــى التوكل والتوبة والزهد والأخلاق العظيمة بما يحقق للمسلم الاستقامة في الحياة ويجعله كمـــا أراد له الإسلام ، رجل الدنيا والآخرة .

فقرب العهد بنزول الوحي لم يفرض على المعاصرين لحضرة الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم وهم العترة المطهرة والصحابة الكرام البررة بأن يتخصصوا بجانب من جوانب العلم أو المعرفة الإسلامية ، ولهذا فقد كان كلامهم كله على شكل خطب ومواعظ وحكم وعبارات تشير إلى معان صوفية . فمثلاً قول الإمام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : « لا شرف أعلى من الإسلام ، ولا عز أعز من التقوى ، ولا معقل أحصن من الورع ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا كنز أغنى من القناعة ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت »[1] يشير إلى ما سيعرف فيما بعد في الاصطلاح (بمقامات التقوى ، الورع ، التوبة ، القناعة ، الرضا) وعلى هذا جميع أقوال ومواعظ ووصايا الصحابة (رضوان الله عليهم) بجملتها دالة على المعنى الصوفي دون أن تعطيه تحديداً اصطلاحياً إلا ما ندر .

ومثال ذلك قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود τ : « الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر »[2] فأشار في هذا النص إلى مفردات ستعتبر في العصور التالية من أمهات المصطلحات الصوفية وهي : الإيمان ، الصبر ، الشكر .

فالاصطلاح الصوفي في هذه المرحلة لم يكن مدوناً ولا مميزاً شأنه شأن اصطلاحات العلوم الإسلامية الأخرى بل كانت الآيات القرآنية والسنة المطهرة والوصايا والخطب والمواعظ كلها بمثابة البذور الأولى لجميع العلوم الإسلامية وعلى الأخص علم التصوف ومصطلحاته .

المصطلحات الصوفية في القرن الهجري الثاني

ظهر للمصطلحات الصوفية في هذا القرن وجود أكبر مما كان عليه في القرن الأول ؛ وذلك لتطور الأحداث وتبدل الأمور على كافة المستويات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتأثير ذلك كله على حياة المسلمين الظاهرية والروحية .

---

١ - محمد عبده - شرح نهج البلاغة - ج٤ ص ٨٧ .

٢ - الشيخ عماد الدين الأموي - حياة القلوب (بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكي) ج٢ ص ٢١٧ .

وخلاصة هذه المرحلة يوضحها المؤرخ ابن خلدون في (مقدمته) حيث يقول : « لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة ... فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ، ثم تستقر للمريد مقاماً ويترقى منها إلى غيرها . ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم ... ليس لواحد من أهل الشريعة الكلام فيه . وصار علم الشريعة على صنفين :

صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا ، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات .

وصنف مخصوص بالقوم [الصوفية] في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك »[1] .

والمتحصل مما تقدم أن إقبال الخلق على الدنيا وإعراضهم عن الحق دفع أهل الله إلى مواجهة هذه الحالة بإظهار الزهد والورع والتقوى وغيرها من مقومات علم التصوف بشكل يختلف عما كان عليه الأمر في القرن الأول وكنتيجة لهذا الإقبال على هذا الجانب من الدين الإسلامي برزت جوانب من المصطلحات الصوفية بشكل أعمق مما كانت عليه في السابق ، كما وظهرت معها آثار صوفية جديدة أو أقوى مما كانت في العهد الأول كرد فعل يكافئ ظروف المجتمع الإسلامي التي تدنت آنذاك والتي أعرض فيها الناس عن مراقبة الله تعالى وخشيته .

إن المصطلحات الصوفية في هذه المرحلة كانت تتناقل في عبارات يلقيها الواعظون والدعاة الصالحون فيحفظها الناس ويبلغونها أو يكتبونها ، والذي يتصفح التراث الأدبي يجد الكثير منها في أمهات الكتب لتلك الفترة كما في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ و

---

١ – ابن خلدون – المقدمة – ص ٨٦٤ ، ٨٦٥ .

(الكامل) للمبرد ، ومنهم من أفرد أبواباً خاصة لحكم الزهاد ومواقف الوعاظ واصطلاحاتهم الرفيعة .

والصبغة التي طلت مظهر المصطلحات في هذا القرن هي نفس الصبغة التي رأيناها تصبغ مصطلحات أهل الصفّة بشكل خاص والصحابة بشكل عام ، تلك هي أن القول أو العبارة أو الحكمة تعبر بجملتها عن مضمون ما سيعرف فيما بعد بالاصطلاح الصوفي ، فمثلاً الشيخ الحسن البصري قدس سره وهو من أشهر شخصيات الصوفية التي تمثل روح أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة (ت ١١٠ هـ) خير مثال على ذلك ، فمن أقواله : « مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة» [1] ، فهو هنا يتحدث عما عرف فيما بعد بمصطلح (الورع) ، ومِثله الصوفي إبراهيم بن أدهم (ت ١٦١ هـ) والشيخ سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) والشيخ داود الطائي (ت ١٦٥ هـ) و الفضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ) وشقيق البلخي (١٩٤ هـ) وغيرهم .

فكانت أقوال صوفية هذا العصر من جنس وطبيعة أقوال العصر الأول ، إلا أنها تميزت عن العصر الأول بمميزات هي :

أولاً : أنها كانت أكثر بكثير من أقوال الصحابة الذين شغلوا أكثر ما شغلوا بحفظ القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فلم تكن أقوال الصحابة فيما يتعلق بجوانب التصوف بمثل الكثرة في هذا العصر لاختلاف الظروف التي سبقت الإشارة إليها .

ثانياً : تميزت حكم ومواعظ أو مصطلحات هذا العصر بالتركيز على ثلاثة جوانب رئيسية تتناسب ومرحلتهم التي كانوا يعيشون فيها ، وهي :

أ . أقوال ومواعظ تدعو بشكل كبير إلى التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله .

ب. أقوال تدعو إلى الخوف والرعب من أهوال يوم القيامة وعذاب النار.

ج. أقوال تدعو إلى الحب الإلهي وتعتبر السيدة رابعة العدوية (ت ١٨٥ هـ) على رأس الذين ساروا في هذا الطور حتى اشتهرت بـ (شهيدة العشق الإلهي) .

---

١ – الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص٩٢ .

وهكذا تتضح صورة المصطلحات الصوفية في هذا العصر من حيث كيفيتها ونوعيتها وأسلوب طرحها ومرحلة تطورها نسبة للعصر الذي قبلها .

وقبل أن ننتقل إلى العصر الهجري الثالث نود أن ننوه إلى إننا نرى أن أقوال وحكم ومواعظ صوفية أي عصر من العصور تعتبر (مصطلحات) انطلاقاً من نظرتنا الشاملة لجملة القول الدال على المعنى الصوفي ، ونرى أنه يمكن للباحثين المتخصصين في مجال اصطلاحات العلوم أو المعارف أن يعتبروا هذا الشكل نوعاً من أنواع الاصطلاح .

المصطلحات الصوفية في القرن الهجري الثالث

لما تقادم العهد ونتيجة لكثير من الظروف والمتغيرات في العالم الإسلامي كازدياد إقبال الناس على الدنيا وزينتها وضعف التأثير الروحي شيئاً فشيئاً ودخول عناصر شتى من أجناس مختلفة في الإسلام وظهور حاجة المسلمين داخل الجزيرة العربية وخارجها لمعرفة حقوقهم وواجباتهم ، اتسعت دائرة العلوم الإسلامية وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص ، حينها نهض العلماء بمهمة تدوين العلوم وتمييزها ووضع الأصول والقواعد الخاصة بكل علم منها واستنباط الأحكام والمصطلحات التي تناسب كل فن أو علم ، فظهر مثلاً في هذا القرن علم الحديث ، فقام المتخصصون به بجمع الأحاديث النبوية من الثقات ودونوها ، واصطلحوا لهذا العلم مصطلحات كثيرة معظمها لم يكن معروفاً في عصر التنزيل ، وكذلك علم الفقه الذي قد نسقت أبوابه في الأحكام والعبادات والمعاملات ، وبنيت أحكامه على مصطلحات مستحدثة ، وعلى هذا بقية العلوم الشرعية كعلم التوحيد والأصول والتفسير والمنطق وغيرها ...

ولما ظهر التأليف في مختلف العلوم سرى إلى ناحية التصوف فبدأ القوم يكتبون الكتب المبينة لمناهجهم وآراءهم والتي تكشف عن حقائق رموزهم واصطلاحاتهم لمريديهم وأتباعهم استكمالاً لحاجات الدين مما لابد منه لحصول البر والتقوى ، فكما أن هناك فقهاً للفروع فإن التصوف هو فقه للأصول ، وكما أن هذا الفقه فقه للجوارح فإن التصوف فقه للقلوب ، ولا يمكن أن تكتمل الأصول إلا بالفروع ، كما لا يمكن أن تكتمل الفروع إلا

بالأصول لذلك كانت حاجة المسلمين ماسة بعد القرن الثاني من الهجرة لعلم التصوف ، وكان لابد أن يجتمع الزهاد والعباد ليرتبوا هذا العلم ويدونوه ، محافظة على التراث الإسلامي ، يقول ابن خلدون : « لما كُتِبت العلوم ودونت ، وألف الفقهاء في أصول الكلام والتفسير وغير ذلك ، كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقتهم . فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله المحاسبي في كتاب (الرعاية) ... ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجدهم في الأحوال ، وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً ، بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت في الكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك »[1] .

وهنا لا نستطيع أن نجزم بالتحديد ظهور المؤلفات الصوفية الاصطلاحية الخاصة إلا أننا نستطيع القول إن من أوائل ما ظهر كتاب (الرعاية لحقوق الله) لأبي الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) الذي كان من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم الإشارات وكان أستاذ أكثر البغداديين وكتابه يعتبر أول كتاب جامع لأبواب السلوك العملي في أسلوب علمي .

ولو تتبعنا المصطلحات الصوفية في هذا القرن لوجدنا أن تطوراً في غاية الأهمية قد طرأ عليها وذلك هو حدّ المصطلح الصوفي بشكل بيّن وواضح من حيث المقاييس العلمية ، وذلك ناتج عن التطور الكبير الذي حصل لعلم التصوف نفسه في هذه المرحلة فقد ظهرت حالات صوفية جديدة كالاعتقاد بأن الزهد وترك الدنيا والعبادات بشكل عام ليست هي الهدف النهائي أو الغاية المقصودة من إيجاد الخلق بل إنها مقدمة لهدف أعلى ، وعلى أساسها ظهرت عقيدة عدم الاتكال على الطاعة بحد ذاتها لأنها من الممكن أن تكون نفسها حجاباً عن المعبود أحياناً . وظهر كذلك تعمق الاهتمام العظيم بالعشق والمحبة والقلب والذهول والهيام ، واعتبار كل شيء مظهراً للحق تعالى . إلى غير ذلك من العقائد

١ - ابن خلدون – المقدمة – ص ٨٦٦ .

والمفاهيم التي فتحت أبواب هذا العلم على مصراعيها ، فظهر نتيجة لكل ذلك اصطلاحات وتعابير خاصة غاية في الأهمية فقد قام سائر كبار صوفية هذا العهد مثل الشيخ ذو النون المصري (ت ٢٤٥ هـ) والشيخ أبو يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ) والشيخ سهل التستري (ت ٢٨٣ هـ) و الشيخ الجنيد البغدادي (ت ٢٦٧ هـ) والشيخ الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ هـ) وغيرهم بالتعبير عن هذه الأفكار والعقائد بمصطلحات مختلفة مالوا جميعاً – قليلاً أو كثيراً – إلى الأخذ بعقيدة ما اصطلح على تسميته بـ(وحدة الشهود) ولم يروا شيئاً سوى ذلك .

ولقد لفت هذا التغيير في الألفاظ والاصطلاحات والمنهج نظر الناس إلى أفكار الصوفية وأقوالهم وسلوكهم ولا سيما طبقة من المتفيقهين الذين عدّوا هذه الأقوال والمصطلحات خطراً على جماعة المسلمين .

ونتيجة لذلك بدأت بذور الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث المطهرة تزرع في أرض الفكر الصوفي ، فقد أقدم أفراد من كبار الصوفية بحكم الضرورة على التأليف ليدافعوا عن أنفسهم بسلاح القلم بعد أن كان علم التصوف في السابق وقفاً على القول المقرون بالعمل . فكان من ثمار تلك النهضة أن ظهرت أول موجة من المصطلحات الصوفية بشكل فني وعملي ، بمعنى أن المصطلح قد حد في هذا العصر بشكل بيّن وواضح من حيث المقاييس العلمية .

وكانت المصطلحات في بداية ظهورها على شكل رموز وإشارات ، وكان ذو النون المصري الذي هو رأس الصوفية كما يقول الجامي أول من استعمل رموز الصوفية فراراً من اعتراض المعترضين . والحاصل أن المصطلحات بالمعنى الحقيقي نشأت على يد أهل هذا القرن وتكوّن لها أساس قوي ، وقد جني ثمرها في العصور التالية .

المصطلحات الصوفية في القرن الهجري الرابع

إن هذا القرن يعتبر مكملاً للقرن الذي سبقه على كافة المستويات ، ومما لا شك فيه أن المصطلحات طرأ عليها تغييرات أخرى بمرور الزمن أكثرها يرجع إلى التعبيرات والرسوم

والظواهر والأحوال والمقامات وأمثال ذلك .

ولكن يمكن اعتبار أن التوجه الصوفي في هذا العصر كان منصباً على تعاليم السير والسلوك وتعيين المقامات التي يجب أن يسلكها السالك وقوانينها وأصولها ، مع مراعاة أصول الشرع ، وإسنادها إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فكان توجهاً يكشف الجانب الشرعي للتصوف من خلال شرح الاصطلاحات وكشف خفايا الرموز والتعابير الخاصة ليطلع على مضمونها العام والخاص ، وكان ذلك بفضل رجال مثل الشيخ السراج الطوسي الذي صنف كتابه (اللمع في التصوف) والذي يمكن أن يعتبر أول معجم في الاصطلاح الصوفي من حيث جمع الاصطلاحات وكشف معناها ، حيث اعتبر المصطلحات الصوفية من علم الدراية بينما (الفقه) من علم الرواية وكلاهما يرجع إلى أصل واحد وهو الشريعة الإسلامية . يقول الشيخ : « إن علم الشريعة هو علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين ، الرواية والدراية ، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة » [1] .

ويوضح الشيخ الفرق بين الأعمال الظاهرة والباطنة ومتعلق كل منهما فيقول : « الأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة وهي العبادات والأحكام ... وأما الأعمال الباطنة كأعمال القلوب وهي المقامات والأحوال مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة » [2] .

ويضيف الشيخ قائلاً : « ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد ... فالعلم ظاهر وباطن والقرآن ظاهر وباطن وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن ، والإسلام ظاهر وباطن ، ولأصحابنا في معنى ذلك استدلالات واحتجاجات من الكتاب والسنة والعقل »[3] .

---

١ – الشيخ السراج الطوسي – اللمع في التصوف – ص٢٣ .

٢ – المصدر نفسه – ص٢٣ .

٣ – المصدر نفسه – ص ٢٣ – ٢٤ .

ولقد بين الشيخ السراج الطوسي في كتابه المـــذكور أن للصـــوفية في مصـــطلحاتهم مستنبطات وإشارات تخفى في العبارة من دقتها ولطافتها ، ومن ذلك معانيهم في المقامـــات والأحوال والمعارف وحقائق الأذكار ودرجات القرب وتجريد التوحيد ومنـــازل التفريـــد وحقائق العبودية والعوارض والعوائق والعلائق والحجب وخبايا السر ومحو الكون بـــالأزل وتلاشي المحدث إذا قورن بالقديم وفناء رؤية الأعواض وبقاء رؤية المعطي بفناء رؤية العطاء وإلى ما لا يمكن حصره من علومهم ومستنبطاتهم التي كمنت في مصطلحاتهم . فالصـــوفية عند الشيخ مخصوصون بحل هذه العقدة والوقوف على المشكل من ذلك والممارســـة لهـــا بالمنازلة والمباشرة والهجوم عليها ببذل المهج حتى يخبروا عن طعمهـــا وذوقهـــا ونقصـــانها وزيادتها ويتكلمون فيها وفي دلائلها وذلك مما يصعب على أحد أن يذكر قليله فضلاً عـــن كثيره ، وجميع ذلك موجود علمه في كتاب الله عز وجل والسنة المطهـــرة ، ولا ينكـــره العلماء إذا استبحثوا عن ذلك [1] .

ومن رجال التدوين في هذا العصر الشيخ أبو بكر محمد الكلاباذي (ت ٣٨٠ هـــــ) والذي صنف كتاباً ضم بين طياته كماً كبيراً من الاصطلاحات الصـــوفية وهـــو كتـــاب (التعرف لمذهب أهل التصوف) فقام بشرح المذهب الصوفي بناءاً على هذه المصطلحات .

وكذلك فعل الشيخ أبو طالب المكي (ت ٣٨٦ هـــ) في كتابه (قوت القلـــوب) حيث حشد فيه من المصطلحات والعلوم ما جعله موسوعة علمية فياضة في مجاله .

ولو كنا بصدد الاستيعاب لأطلنا الحديث مسلسلاً عمن عاصر هؤلاء الأفذاذ ، ومـــا ألف وكتب في هذا المجال ، ولكن الذي يهمنا هو أن التصوف في هذا العهد أعطى التفكر والتدبر وإمعان النظر أهمية كبيرة أكثر من القيام بالرياضات الشاقة التي عهدت عند صوفية القرن الثاني وقسم من صوفية القرن الثالث الذين تحققوا بأن العبادة والطاعة والزهد وتـــرك الدنيا إنما هو وسيلة لا غاية ، وهو مقدمة لبلوغ هدف أسمى وهو الوصـــول إلى الله تعـــالى بغض الطرف عن الدنيا والآخرة وعن النفس .

---

١ - الشيخ السراج الطوسي - اللمع في التصوف - ص ١٤- ١٥ .

والخلاصة : إن الناحية النظرية للتصوف صارت أكثر أهمية في هذا العصر مما جعل المصطلحات الصوفية أكثر شيوعاً من ذي قبل لبسطها وتوضيحها وإرجاعها إلى أصولها من الكتاب والسنة المطهرة .

المصطلحات الصوفية في القرن الهجري الخامس

ظهر في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الإمام أبو القاسم القشيري (٣٧٦ – ٤٦٥ هـ) وهو من أئمة المسلمين في علوم الدين واللغة والتصوف ، فكان أن وضع رسالة مهمة في التصوف والتي تكلم فيها بإسهاب عن المصطلحات الصوفية وعن سبب تدوينها فقال : « اعلم أن من المعلوم أن كل طائفة من العلماء لهم ألفاظ يستعملونها انفردوا بها عمن سواهم ، تواطئوا عليها لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة في الوقوف على معانيهم بإطلاقها ، وهذه الطائفة [الصوفية] مستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجماع والستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها ، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكليف أو مجلوبة بضرب تصرف ، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم ، ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم ومتبعي سنتهم »[1] .

والملاحظ على صوفية هذا العصر أنهم تقريباً لم يضيفوا شيئاً للتصوف من حيث الاصطلاح بل انصبت جهودهم على إكمال ما بدئ في السابق من جمع المصطلحات وشرحها وذكر أصولها من الكتاب والسنة ، ويمكن أن يضاف إلى هذا المجهود ما قام به الإمام الغزالي في نهاية القرن من تمييز للاصطلاح الصوفي عن مصطلحات علمي الكلام والفلسفة اللذين شاعا في تلك المرحلة ، وما عدا ذلك فلا نجد للمصطلحات الصوفية في هذه المرحلة تطوراً ملحوظاً ، والذي يطالع كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي مثلاً يجد أنه

---

١ - الإمام القشيري – الرسالة القشيرية – ص ٥٢ .

لم يذكر تقريباً أي مصطلح من مصطلحات القرن الثالث ، بل هو يركز على مصـــطلحات القرن الأول والثاني في دعوة منه للتمسك بالجذر الأول لهذا العلم المبارك . ولا يفوتنـــا أن نشير هنا إلى كتاب (منازل السائرين إلى الحق) الذي صنفه الشيخ إسماعيـــل الأنصـــاري الهروي (ت ٤٨١ هـــ) والذي جمع فيه على اقل تقدير ثلاثمائة مصطلح صوفي تمثل منازل المريد إلى الحق تعالى .

المصطلحات الصوفية في الفترة من القرن السادس إلى عصرنا الحالي

يعد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره العزيز الحد الفاصل بين مرحلتين كـــبيرتين في عـــالم الاصطلاح الصوفي فقد جمع في مواعظه وخطبه وأقواله وأشعاره ومقالاته كل ما سبقه إليه من المتقدمين كما تضمن نتاجه ذاك إشارات ورموزاً تعد مفاتيح لما عـــرف فيمـــا بعـــد بالاصطلاح الصوفي الفلسفي ، فقد ظهر في عالم التصوف الإسلامي خلال هذه القرون لون آخر من ألوان الاصطلاح الصوفي لم يعرف بعده أوسع وأشمل وأعمق منه ، وهو ما يحلـــو للبعض أن يسميه (الاصطلاح الفلسفي) أو على أحسن تقـــدير (الاصـــطلاح الصـــوفي الفلسفي) بسبب أنه يجمع بين الذوق والمنطق العقلي ونسميه نحن (بالاصطلاح التحقيقي) نسبة للكلام عن حقائق لا يعرفها إلا المتحقق بمرتبة حقيقة اليقين بعد قطعه لمراتب الـــيقين الثلاثة : علم اليقين وعينه وحقه .

إن هذا النوع من الاصطلاح تحدث عن المباحث والمسائل التي تتعلق بالمعرفة الكليـــة والوجود الكلي على اختلاف مراتبه ، فضم بين طياته الكلام عن :

- الله تعالى والحقيقة الإلهية .
- الحقيقة المحمدية والنور المحمدي .
- العالم ومراتب الوجود .
- الإنسان الكامل .

وغيرها من المباحث التي تخص حقائق ما عرف (بوحدة الوجود) على المفهوم الصوفي السليم لا المفهوم المغرض السقيم الذي ألصق بهذه المصطلحات وأصحابها عبر القرون .

ولقد ظهر هذا النوع من الاصطلاح على أيدي مشايخ كبار في مجالهم التحقيقي نخص بالذكر منهم:

في القرن السادس :

الشيخ الأكبر ابن عربي (٥٦٠ – ٦٣٨) هـ .

الشيخ السهروردي المقتول (ت ٥٨٦) هـ .

في القرن السابع :

الشيخ نجم الدين الكبرى (ت ٦٢٤) هـ .

الشيخ صدر الدين القونوي (ت ٦٧٣) هـ .

الشيخ عبد الحق ابن سبعين (٦١٤ – ٦٦٧) .

في القرن الثامن :

الشيخ عبد الرزاق القاشاني (ت ٧٣٠) هـ .

في القرن التاسع :

الشيخ عبد الكريم الجيلي (ت ٨٣٢) هـ .

ومن خلال هؤلاء الشيوخ أصبح لدى الصوفية ثروة هائلة وكم لا يكاد يحصر من المصطلحات والألفاظ والمفاهيم الصوفية ، ولقد دونت معظم هذه الثروة مما جعلها صعبة الحصر على كل الباحثين والدارسين والمستشرقين الذين حاولوا أن يتتبعوها بالكشف والتوضيح ويكفي القارئ الكريم أن يطلع على مصادر هذه الفترة في هذه الموسوعة ليتحقق من ذلك .

وإلى نهاية هذه المرحلة يمكننا القول أن لغة دينية تكاملت في الظهور هي (اللغة الصوفية الإسلامية) ولكن هذه اللغة واجهت خلال القرون المتتالية عدة مشاكل ، خاصة بعد قيام المغرضين والمستشرقين بعدة حملات لتشويه مفردات هذه اللغة وتأويلها وصرفها عن مقاصدها الإسلامية الحقة ، ولهذا ولأسباب أُخرى أخذت هذه اللغة بالاختفاء تدريجياً ، وما هذا المصنف إلا محاولة لإحياء هذه اللغة وتجديد بنائها .

اللغة الصوفية

إذا كانت اللغة كما يقول (ابن جني) هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[1] فإن للصوفية لغتهم الخاصة التي حاولوا بها التعبير عن الأغراض والمرامي الذوقية التي اختصوا بها وتعارفوا فيما بينهم على الدلالات الروحية للّفظ الواحد ، هذا اللفظ الذي يكتسي عند دخوله كتابات القوم بمفهوم مغاير لما درج الناس عليه ، أعني : مفهوماً اصطلاحياً . وتشكل هذه الاصطلاحات الصوفية ، الأبجدية العامة في لغة أهل الطريق ، فهي أبجدية الإشارات والتلويحات المحتشدة في العبارات التي تكلموا بها وفي الآثار المكتوبة التي بقيت بعدهم .

ومن هنا كان اهتمام رجال التصوف ودارسيه بوضع المؤلفات المستقلة في معاني تلك المصطلحات مما خلف في النهاية قدراً جيداً من هذه المؤلفات المشهورة .

وقراءة التصوف لا تقتضي تعلم هذه الأبجدية فحسب بل تقتضي أيضاً تذوقاً قلبياً لحقائق الطريق ودقائق الولاية وتعرفاً على مواضع إشارات اللفظ ودلالاته وتجربة فردية لمعاينة بعض لمحات الأنوار .. وإلا ، فالماء المالح والماء العذب – كما يقول الرومي – شبيهان في الصفاء ، فليس يدري الفرق بينهما سوى صاحب ذوق [2]. وهناك بعض السمات المميزة في كتابات كل واحد من أقطاب الطريق الصوفي ومن هذه السمات يتحد الأسلوب الخاص الذي يميز كتاباته [3] .

إن القول بأن للصوفية لغة خاصة يعني أن مفرداتهم شملت كافة نواحي الحياة في الدارين ، وقد تميزت اللغة الصوفية بأمور يطول شرحها ، منها : أن الغالب عليها الرمز والإشارة والتلويح والاصطلاح ، وقد وردت مفردات هذه اللغة بأساليب مختلفة منها :

---

١ – ابن جني – الخصائص – ص ٣٤ .

٢ – الشيخ جلال الدين الرومي – المثنوي – ترجمة الدكتور عبد السلام كفافي – ج١ ص٢٧٦ .

٣ – أنظر : د . يوسف محمد طه زيدان – عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب – ص ٨٥ – ٨٦ .

- أسلوب التفسير الصوفي أو الإشاري .
- الشعر الصوفي على اختلاف أوزانه وقوافيه .
- الحكم والمواعظ والأحاديث والإشارات الإصلاحية .
- القصص والحكايات الرمزية .
- النثر الصوفي الذي لا تكاد تحصر تنوعاته .

وغيرها من الأساليب التي نشر من خلالها الصوفية علومهم وأفكارهم وآراءهم ومواجيدهم وتطلعاتهم . وعن طريق هذه الأساليب ظهرت اللغة الصوفية التي شملت كافة دقائق الحياة ، فلم يغادر الصوفية صغيرة ولا كبيرة مما عرفه الإنسان إلا وعبروا عنها بلغتهم سواء للكشف عن حقائقه أو لاستعارته ليكشف عن حقائق مواجيدهم ، ومن أمثلة ما شملته اللغة الصوفية من مفردات ما يلي :

- مفردات صوفية تحدثت عن الظواهر الفلكية كالسماء والشمس والقمر والرعد والشروق والضحى ..الخ
- مفردات تحدثت عن الظواهر الطبيعية كالقفر والصخر والخضرة والجداول والمياه والظل والورد .
- مفردات اتخذت من المظاهر الحضارية رموزاً صوفية كالقباب والخيام والربوع الدارسة .
- مفردات أشارت إلى الثقافات الدينية كالموسوية والعيسوية واستخدمت كلمات التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ، وأشارت إلى القساوسة والأديرة والرهبان والأوثان.
- مفردات اتخذت من عالم الطير مصطلحات كالحمام والطواويس والنسور وأخرى من عالم الحيوان كالإبل والغنم والبقر والغزلان والظباء .
- مفردات اتخذت من التاريخ الأدبي إشارات من الناحية الصوفية كروايات المحبين : بشر وهند ، قيس وليلي ، وجميل و بثينة .
- مفردات اتخذت من الأشكال الهندسية وسيلة للكشف عن الحقائق كالدائرة

والنقطة والخط المستقيم إلى غير ذلك من أنواع المفردات التي يطول شرحها بالنسبة لأمور الدنيا ، وخذ هكذا بالنسبة لأمور الآخرة ، بالإضافة إلى مواضيع التصوف والتحقيق المتعلقة بالأنوار والحجب والمكاشفات ، وبشكل عام وحدتي (الشهود والوجود) .

إن من سمات هذه اللغة أنها حية متجددة مع تجدد الإفاضات الإلهية غير المتناهية على قلوب العارفين إلى يوم الدين .

خصائص المصطلحات الصوفية

للمصطلحات الصوفية خصائص فنية تفردت بها وتميزت عن جميع المصطلحات الدينية أو العلمية الأخرى ، وفيما يلي نذكر خاصيتين منها :

خاصية المعرفة القلبية :

من خصائص المصطلحات الصوفية أنها تختلف عن غيرها من اصطلاحات العلوم والمعارف الأخرى في كونها ليست ناتجة عن العقل أو الفكر والنظر ، بل هي ثمرة من ثمار التجربة الروحية الباطنة بين العبد وربه ، بمعنى أنها ذوق من الأذواق أو المواجيد الصوفية أو هي نتيجة لكشوفات أو تجليات إلهية على قلوب العارفين .

ويمكن القول أن الاختلاف الرئيس بين مصطلحات وألفاظ الصوفية وبين مصطلحات وألفاظ أصحاب العلوم الأخرى هو في أداة المعرفة أو وسيلة الإدراك وليس في وسيلة التعبير ، فقد يحتاج الصوفي إلى العقل وأساليبه ليعبر عما يجد في ذاته أو عما كوشف به ولكنه قطعاً لم يدرك ذلك الوجد أو الكشف بالعقل وهذا يختلف عن جميع العلوم والمعارف الإنسانية قاطبة والتي تعتمد العقل والفكر والنظر كوسيلة للإدراك والمعرفة .

إن وصول الصوفي إلى فهم الأمور عن طريق الذوق والكشف لا يتأتى إلا لمن يداوم على مخالفة الأهواء وتجنب الآثام والابتعاد عن الشهوات وإخلاص العبادات والسير في طريق الله بالرياضات والمجاهدات والطاعات الشرعية حتى تتكشف له حقائق الأشياء وتتجلى له معانيها فلا ينازعه في فهمها إلا من وصل إلى درجته فذاق ما ذاق أو تجاوزها من أقرانه في الطريق إلى الله .

ولهذا فالبون شاسع بين اصطلاحات العلوم القائمة على أسس عقلية تفترض أوليات بديهية وتسلسلاً منطقياً يتم على أساسه تحديد الشيء المراد تعريفه ثم اختيار المصطلح المناسب لذلك التعريف وبين اصطلاحات العلوم الصوفية القائمة على أساس ما يفيضه الحق تعالى على قلب الصوفي من مذاقات ومعان وفتوحات نتيجة لاصطفائه أو مجاهداته الشرعية .

فكان من النتائج الحتمية المترتبة على التباين بين الصوفية وغيرهم من حيث وسيلة الإدراك والمعرفة هو أن نجد أن المعنى الاصطلاحي في العلوم القائمة على أساس العقل تتحدد فتصبح وكأنها قاعدة ثابتة بين أفراد المجموعة التي تعارفت على تلك المصطلحات بينما نجد أن المعنى الاصطلاحي متغيراً ومتجدداً عند الصوفية بين جيل وآخر بل وبين صوفية الجيل الواحد وفي أحيان كثيرة نجد أن التغير يحصل عند الصوفي نفسه لأسباب يلي ذكرها . إذاً فمن خصائص المصطلح الصوفي أنه قائم على أساس الكشف لا العقل.

خاصية التكثر في الألفاظ والمعاني :

ومن الخصوصيات الفنية في المصطلحات الصوفية هي خاصية (التكثر) وهي أنك تجد للمصطلح الصوفي الواحد عشرات بل مئات التعاريف والمعاني كما في مصطلح (التصوف) مثلاً ، وتجد للمعنى الصوفي الواحد عدداً كبيراً من المصطلحات الدالة عليه والمعبرة عنه كما في مصطلح (الحقيقة المحمدية) أو (الإنسان الكامل) . وفيما يلي نذكر بعض الأسباب التي كانت وراء ظهور هذه الميزة الفريدة في عالم الاصطلاح كله .

١. **التدرج في السلوك** : يكون عدم تكامل الإحساس بالأمور الروحية سبباً لاختلاف التعاريف للمصطلح الواحد وبالعكس ، فباستمرار الترقي الروحي للصوفي يتغير التعريف للمصطلح .

٢. **الفناء عن الحس** : بعد فناء الصوفي الكلي عن جميع الأحاسيس البشرية وبقائه بربه لا يجد من لغة البشر ما يعبر به عما ينكشف له من حقائق ، وهذا يؤدي إلى استعمال تعابير ومصطلحات متنوعة للتعبير عن الحالة المعاشة فيحصل التكثر .

٣. **الذوق الصوفي وتنوعاته** : نظرة المتوكل للدنيا غير نظرة الزاهد مثلاً وإن كان كلاهما على صواب إلا أن كلاً منهما يتحدث من خلال تذوقه لحاله ومقامه الخاص ، وهذا يؤدي إلى التكثر .

٤. عدم تماثل التجليات :

عدم تماثل التجليات الإلهية على قلوب العارفين في رحلة الترقي تجعل مصطلحاتهم متكثرة وغير هذه الأسباب مما يطول المقام بتفصيلها والتي أدت إلى تكثر المصطلحات بالنسبة إلى المعنى الواحد وبالعكس أي تكثر المعاني للمصطلح الواحد . ومن نتيجة ذلك نصل إلى تقرير نقطة مهمة ومتفردة في هذه الخاصية وهي أن الصوفية يجمعون – أحياناً– على لفظ المصطلح كالتوبة والتوكل والمحبة ، وليس على معناه بخلاف بقية العلوم التي توضع فيها الاصطلاحات عادةً للإجماع على المعنى .

خاصية الرمزية في المصطلحات الصوفية :

تعد الرمزية عند الصوفية ، أي اتخاذ الرمز كوسيلة للتعبير ، أحد أهم الخصائص الفنية للغة الصوفية ، والذي يطلع على مصادر التصوف الإسلامي يجد ثروة نظرية كبيرة تناولت هذه الخاصية من المصطلحات الصوفية ، ويمكن تلخيص أهم أسباب ظهور هذه الخاصية بشكل ملفت للنظر في لغة الصوفية بالنقاط التالية :

- الطبيعة الفردية والباطنية (الجوانية) للتجربة الصوفية والتي تجعلها عصية التعريف والإيصال ، إذ أن هذه التجربة الباطنة غير العقلية تدفع الصوفي إلى استخدام الرمزية في التعبير ويغلب عليها اعتماد لغة الحب الإلهي التي تثير الخيال والوجدان ، ويعود استخدام الصوفي للغة الحب إلى أنها أقوى الأساليب اللغوية عن الصلة الفردية والشخصية العميقة ، إضافة إلى إمكانيتها على إثارة الوجدان والخيال ، ولا يجوز للغير تأويل عبارات الحب الصوفي على أساس المدلول المادي الظاهر للألفاظ .
- يعود الدافع الآخر إلى قصور اللغة الوضعية نفسها إذ أنها لغة وضعية اصطلاحية تختص بالتعبير عن الأشياء المحسوسة والمعاني المعقولة في حين أن المعاني الصوفية لا تدخل

ضمن نطاق المحسوس ولا المعقول ، يقول ابن خلدون : إن محاولة التعبير عن معاني الكشف الصوفي « متعذرة ، لا ، بل مفقودة ، لأن ألفاظ التخاطب في كل لغة من اللغات إنما وضعت لمعان متعارفة من محسوس ، ومتخيل ، أو معقول تعرفه الكافة ، إذ اللغات تواضع واصطلاح »[1] . وقريب من ذلك ما قرر الإمام الغزالي إذ قصد تبيان عدم استيعاب اللغة الوضعية للمعاني في التجربة الصوفية فقال : « لا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح ، لا يمكنه الاحتراز عنه »[2] .

● ومن أهم الدوافع وراء ظهور الرمزية بشكل كبير في لغة الصوفية هو محاولة الصوفية تجنب اتهامات الخصوم التي تضعهم في تعارض مع العقائد الشرعية ولهذا اصطلحوا على رموز وألفاظ لا يفقه معناها غيرهم « قصدوا بها الكشف عن معانيها لأنفسهم ، وللإجمال والستر على من باينهم في طريقهم »[3] ، يقول الإمام القشيري : « نِعمَ ما فعل القوم من الرموز ، فإنهم فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل أن يظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيفتنوا أنفسهم ويفتنوا غيرهم »[4] .

وتعريف الشيخ السراج الطوسي للرمز يعطي ذات القصد فيقول : « والرمز معنى باطن مخزون تحته كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله »[5] .

ويقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني : « إن الفقيه إذا لم يوفق يقال : أخطأ ، أما الصوفي فإنه عندما لا يوفق يقال إنه كفر ، لذلك كان لزاماً على الصوفية استخدام الإشارات حتى لا يشتد إنكار العامة لهم »[6] .

---

١ - محمود قنبر - المعرفة الصوفية - ص١٨٥ .

٢ - الإمام الغزالي - المنقذ من الضلال - ص ١٤٥ .

٣ - الإمام القشيري - الرسالة القشيرية - ج١ ص ٢٢٩ .

٤ - المصدر نفسه - ج٢ ص١٨٧ .

٥ - الشيخ السراج الطوسي - اللمع في التصوف - ص ١٨٦ .

٦ - الشيخ عبد الوهاب الشعراني - اليواقيت والجواهر - ج١ ص ١٩ .

وقد سأل أحد المتكلمين أبا العباس ابن عطاء : ما بالكم أيها الصوفية قد اشتققتم ألفاظاً أغربتم بها على السامعين ، وخرجتم على اللسان المعتاد ، هل هذا إلا طلب التمويه ؟ أو ستر لعوار المذهب ؟

فقال : ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ولعزته علينا ، ثم اندفع يقول ...

إذا أهل العبارة ساءلونا أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضاً تقصر عنه ترجمة العبارة
ونشهدها وتشهدنا سروراً له في كل جارحة إشارة
ترى الأقوال في الأحوال أسرى كأسر العارفين ذوي الخسارة [1] .

ومن خصائص الرمزية الصوفية أيضاً أنها قابلة للتأويل بأكثر من وجه ، ولهذا يصادفك أكثر من تأويل واحد للرمز الصوفي ، وهذه التأويلات بقدر ما تعطي من معنى للرمز فهي في نفس الوقت تخفي من معناه شيئاً أخر ، وهكذا يكون الرمز خفاءً وظهوراً معاً في آن واحد . فهو نقيض الرمز المنطقي الرياضي الذي أريد أن يضبط الدلالة ويقصي بعيداً أي إمكانية أو مرونة للتأويل أو للتفسير الذي قد تحتمله العبارات اللغوية الاعتيادية .

خاصية التعريف الجامع المانع للمصطلح الصوفي :

شغف عدد من الباحثين بمحاولة وضع تعريفات جامعة مانعة لبعض المصطلحات الصوفية ، خاصة مصطلح التصوف ومصطلح التجربة الصوفية ، وقسم كبير منهم حاول أن يجمع أكبر عدد ممكن من التعريفات التي قال بها المتصوفة أنفسهم ليخرج بتعريف مفرد ومتكامل ، ولكن دون جدوى .

والسؤال الذي يطرح هنا : أيمكن وضع تعريفات جامعة مانعة للمصطلحات الصوفية أم لا ؟

والجواب على هذا السؤال يتطلب تكرار الإشارة إلى بعض خصائص المصطلحات الصوفية التي لها علاقة بالموضوع وكما يلي :

---

١ - الشيخ أبو بكر الكلاباذي – التعرف لمذهب أهل التصوف – ص ٨٨ – ٨٩ .

● إن التجربة الصوفية ذات طابع فردي ، فهي تجربة باطنية (جوانية) وهـي بهـذا الاعتبار لا تخضع للتعريف المنطقي الذي يراد له أن يكون جامعاً مانعاً ، بل تبدو التجارب الصوفية وكأنها جزر منعزلة ليس بينها رابط بسبب أنها تجربة فردية ، لهذا فإن الذي يطرح تعريفاً لمصطلح صوفي ينطلق من تجربته الروحية الخاصة به مما لا يجعل تعريفـه متطابقـاً أو مماثلاً لتعريف غيره .

● إن الصوفي يمر خلال تجربته الصوفية بسلم (الطريق الصوفي) تطهـري ونـامي ومتصاعد ، تختلف بداياته عن أواسطه وعن نهاياته ، ولذلك قد يتطابق أكثر من تعريـف لمتصوفة عاشوا اختلافاً في الزمان والمكان والثقافة ، ولكنهم تطـابقوا في المقـام والحـال والمواجيد .

● إن هذه التجربة باعتبارها معاناة عميقة ومعقدة ، تبتعد بطبيعتها هذه عن الإحاطـة ومن ثم التعريف إجمالاً أو تفصيلاً .

مما تقدم قد يبدوا أن الإجابة على إمكانية وضع تعريفات جامعة مانعة هو النفي ، أي عدم الإمكان ، ولكننا نرى أنه بالإمكان وضع تعريفات محددة لبعض المصطلحات وليس لها كلها ، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذه التعريفات قد تصح لزمان دون غيره أو لمكان دون غيره ، وهي من الخصائص الفريدة في عالم الاصطلاح .

كلمة أخيرة

الواقع أننا نرتقي مرتقىً معجزاً بهذا العمل ، وذلك نظراً لضخامة المشروع فموسـوعة تجمع المفردات الصوفية بمصطلحاتها وألفاظها وملحقاتها من بداية تفتح التجربة الصوفية إلى قمة اللغة الصوفية وانتهاءً بعصرنا الحاضر هي كمن يحاول أن يجمع بحـاراً مـن العلـوم والمعارف والأسرار في قطرة واحدة ، أو كمن يترجم أناشيد الملائكة مختصراً في نغمة .

ولكن ذلك لم يمنعنا من الإقدام على هذا العمل ليكون لبنة في بناء الإسـلام العظـيم وخطوة على الطريق القويم ، خاصة ونحن نشهد العالم اليوم وقد أصبح يرتجف من ثقل مـا يحمل من أوزار وهموم ، مصدرهما تلك المجاعة الروحية التي أحاط بالناس سرادقها ، وذلك

القحط في عواطف القلوب ومنابع الإيمان .

فهذه دعوة للجميع إلى محاولة فهم هذه النفحات الصوفية المباركة ، فهي وجبات كاملة للقلوب الظمأى إلى الحق تعالى ، وجواهر لامعة للفقراء من أهل الصدق ، ومنارات هادية للذين يصارعون أمواج الدنيا المتقلبة ، وأسلوب لفهم الحياة بمنظار جديد على طريق المحبة والإخلاص .

وختاماً نأمل أن نكون قد وفقنا إلى ما رمينا إليه بعملنا هذا الذي بين يديكم والله ولي التوفيق وصلى الله تعالى على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

[رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النّارِ]

السيد الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني
رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
في العالم